

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف-المسيلة -



كلية الآدب واللغات

قسم اللغة والآدب

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 1635208291

رقم التسجيل: ط2: 1635086606

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: آدب حديث ومعاصر

البعد التحرري وقدااسة المكان في المجموعتين القصصيتين:  
"تقاسيم الفلسطيني" و "حدث ذات جدار" لـ "سناء شعلان"

إعداد:

- كريمة خلوف

- زينب روان

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د. نور الدين سيليني	أستاذ التعليم العالي	المسيلة	رئيسا
2	د. سعدية بن ستيتي	أستاذ التعليم العالي	المسيلة	مشرفا ومقررا
3	د. أسماء غاجاتي	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020م.



# إهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى:

\* إلى الأرض الطيبة المقدسة بمسجدها الأقصى وبشعبها، إلى كل فلسطيني مقاوم باسل رافضٍ للظلم والطغيان ولكل الأحرار في أي مكان.

\* أهديه لشمس الأدب العربي كاتبتنا المجدّدة " سناء شعلان " فلسطينية الهوية والهوى صاحبة القلم المتميز والمدافع عن القضايا العادلة، وأشكرها على هذين العملين المميزين واللذان حركا فينا الرغبة بتناولهما كنموذجين لموضوعنا، وعلى كلّ ما تقوم به في سبيل القضية.

كريمة خلوف

# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى آله وصحبه أجمعين

على من حقت فيهم الطاعة بعد الله تعالى ورسوله

إلى أجمل رابطة في الوجود

أبي وأمي وكل إخوتي وأخواتي خاصة الكتكوتة "إكرام" سعديّة"

والى أعلى من تربطني بهم أصدق وأنبل المشاعر صديقاتي وزميلات الدراسة " كريمة، فاطمة،

خديجة، خلود"

والى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

روان زينب

# شكر وامتنان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ الآية: 12 من سورة لقمان.

بداية نشكر ونحمد الله الواحد الأحد الذي أنعم علينا بنعمة محبة العلم والعلماء، والذي أمدنا بالعزيمة والإرادة لإتمام هذا العمل.

وإقراراً لقول خير الخلق سيدنا محمد. (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

ولذا يشرفنا في هذا المقام أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان للأستاذة الدكتورة الفاضلة "سعدية بن ستيتي" لإشرافها على هذا العمل والذي قبله بصدر رحب، وعلى كل دعمها وتوجيهاتها وكذا الثقة التي غمرتنا بها، راجين لها تمام الصحة والعافية.

كما نتقدم بأسمى عبارات التقدير لطاقم جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، بداية من السيد رئيس الجامعة مروراً بالسيد عميد كلية الآداب واللغات وصولاً إلى السيد رئيس قسم اللغة والأدب العربي أساتذة وإداريين، أمناء وعمالا.

فشكراً لكل من فتح لنا باباً أو قدم لنا تسهلاً لإكمال هذه الدراسة المتواضعة.

الامتنان موصول لكل من ساعدنا ولو بالكلمة الطيبة أو تمنى لنا التوفيق.

# مقدمة

## مقدمة:

ليس غريباً أن يُطرح موضوع التحرّر كلما ذُكرت القضية الفلسطينية، باعتبار وجودها تحت نير الاحتلال الصهيوني لذا فالدعوة للتحرّر هي أوّل ما يمكن أن يدعو إليه أي نص يحتفي بفلسطين وبقضيتها، والمهمّ في قضية الحرّية بصفة عامّة هو أن تبقى دائماً موضوع نقاش وبحث لا بوصفها تساؤل أكاديمي فحسب بقدر ما هي نابعة من ضرورة حياتية ومصيرية ملحّة، ومهما تنوّعت كشعار وكمفهوم وسلوك، يبقى البحث والغوص في أي مستوى من هذه المستويات الثلاثة وسيلة لتعميق الوعي بمسألة الحرية والاحتفاظ بها على رأس جدول الأعمال لأنّ الوعي بقضية الحرّية هو منبع الحرّية، باعتبارها حقّاً من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدونها، وحين يفقد المرء حرّيته يموت داخلياً شيئاً فشيئاً.

إنّ الحرية قد تُنفى من الواقع ومن المجتمع ولكنها لا تُنفى أبداً من التاريخ، حيث باستطاعتها دائماً أن تلجأ إلى الخيال، والخيال ينخر الواقع يوماً بعد يوم باستمرار وبعناد، حتّى يأتي على أساسه ويطيح به فتلج الحرّية من جديد، وغالباً ما يرتبط مفهوم الحرّية بتحرّر المكان ويحمل هذا الأخير دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تربط الإنسان بواقعه المكاني فيتفاعل كلّ منهما مع الآخر، لتنشئ علاقة وطيدة بينهما فيبسط المكان سطوته على الشخصيات، ومن هنا يبقى للمكان حضور متميز في النص الروائي والقصصي، لأنّنا نفهم من خلال سلوك الفرد وموقفه الانفعالي الذي يعبر عن الحالات الانفعالية للمكان، ويكون حصيلة للتفاعل بين إشارته المدركة في المجتمع وبين النفاذ إلى عمق التجربة المكانية، ولعلّ تمكين عنصر المكان بمقدار من الاهتمام على باقي مكونات السرد يرجع إلى استحواده على أرقام المبدعين وانجذاب القراء إليه وعلى ضوء المكانة الخاصّة التي يشغلها المكان، يجدر التنبيه إلى أنّ حضوره يمثّل امتداداً طبيعياً لحياة الإنسان التي يجسّد فيها المكان الجزء الأكبر.

وكان دافعنا لاختيار هذا الموضوع أولاً وقبل كل شيء تأثرنا بالقضية الفلسطينية ومحاولتنا تسليط الضوء وإبراز ما يعانيه هذا الوطن من ويلات الاحتلال الصهيوني عل ومن اضطهاد، وكذا إبراز براعة وقدرة الكاتبة على إيصال فكرتها للمتلقي عبر الفن القصصي، في حين اقتصرَت الصعوبات على اتساع الموضوع والذي صعب الإلمام به.

وانطلاقاً من ذلك نصل إلى طرح الأسئلة الجوهرية التالية:

- ما أهمية التحرر لدى الفرد الفلسطيني؟

- إلى أي مدى جسّدت الكاتبة رمزية المكان المقدس في المجموعتين القصصيتين " تقاسيم الفلسطيني" و"حدث ذات جدار"

- ما أثر تحرير المكان على تحرير الذات؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا خطة بحث تضمّنت فصلين بالإضافة إلى مدخل.

المدخل، كمجال تطيري، خصّصناه لأهمّ المفاهيم الواردة في البحث، وهي: مفهوم الذات، الهوية، التحرر والمكان، أمّا الفصل الأول والذي حمل عنوان تحرير المكان وتشخيصه فاندرجت تحته ثلاثة مباحث وهي: استتطاق المكان، سطوة المكان وتقديسه وأخيراً المكان بين الانفتاح والانغلاق، أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان الذات وتحرير المقدّس والذي حوى هو الآخر ثلاث عناصر بحثية كالتالي: تحرير الذات، أمومة المكان وبعث المكان.

وطبعاً خلصنا في نهاية البحث إلى خاتمة ضمّت أهمّ ما توصلنا إليه من نتائج.

وقد استندنا في دراستنا إلى مراجع ثمنت البحث وصوّبت منحاه ككتاب "أنسنة المكان" الذي عرّفنا بجماليات وأثر هذه الظاهرة في المتلقي لصاحبه لـ "أحمد مرشد". وكذلك ميّزنا

المكان بوظائفه مستنديين في ذلك على كتاب "الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي" للباحثة "سعدية بن ستيتي".

وكذلك أفدنا بالشيء اليسير من البحث الموسوم بـ " دلالات المكان في الشعر الفلسطيني بعد 1970م" لصاحبه "جمال مجناح"، فقد استعنا به في تبيان طرق بعث المكان، وغيرها من الكتب الأخرى التي أنارت لنا طريق البحث.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون إطار وصفي تحليلي في أغلبه وتأويلي إلى حدّ ما في بعض المباحث التي استدعت ذلك.

في الأخير نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة الأستاذة "سعدية بن ستيتي" على كلّ الدعم والتوجيه وبالأخص الثقة التي غمرتنا بها، كما نوجه الشكر إلى قسم اللغة والأدب العربي، أساتذة وعمّالا وإداريين.

ونحن لا ندّعي أننا ألمنا بجوانب الموضوع الذي لا يمكن الإحاطة به مهما قيل فيه، وعليه نستسمح مسبقاً عن جوانب النقص التي لا بدّ وأتينا قد وقعنا فيها، باعتبار الكمال لله وحده ورجائنا أن نكون قد وضعنا لبنة نأمل أن تكون مفتاحاً لدراسات أخرى مستقبلاً.

هذا وإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

وما التوفيق إلا بالله تعالى.

# مدخل

مفاهيم نقدية

مفهوم الذات

مفهوم الهوية

مفهوم التحرر

مفهوم المكان

## (1) مفهوم الذات:

إن الرجوع للدراسات الأولى التي اهتمت بهذا المصطلح يحيلنا إلى العصر اليوناني، فقد شغلت الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع عدد من المفكرين والفلاسفة اليونان، وفي العصر الحديث لقيت اهتماماً موسعاً في نطاق الفلسفة بصفة عامة ففي نظرية المعرفة تُرجم مصطلح الذات بالماهية "وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود ومنه التعبير الشائع" الوجود الماهية "1 لا شك أن ما يحمله الفرد من مفهوم حول ذاته له دور كبير في تحديد سلوكه وشخصيته، حيث أن مفهوم الذات هو الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات، فالإنسان هو الوحيد الذي يمكنه إدراك ذاته.

الذات لغة: " وذات الشيء نفس الشيء عينه وجوهره، فهذه الكلمة لغوياً مرادفة لكلمة النفس والشيء، وتعتبر الذات أعم من الشخص لأن الذات تطلق على الجسم وغيره والشخص لا يطلق إلا على الجسم فقط"2.

## اصطلاحاً:

"مفهوم الذات هو فكرة الفرد عن ذاته وما هي الفكرة التي يكوّنها الفرد عن نفسه في ضوء أهدافه وإمكاناته، واتجاهاته، نحو هذه الصورة ومدى استثماره لها في علاقاته بنفسه أو بالواقع"3 وكذلك فمفهوم الذات هو " المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسماً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً في ضوء علاقاته بالآخرين وهو قابل للتعديل تحت شروط معينة وهذا المفهوم هو النواة التي تقوم

<sup>1</sup>مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، دط، 1983م، ص 7 8

<sup>2</sup>أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: قاموس لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم، مجلد 13 منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2003.

<sup>3</sup>فرج طه، شاكر قنديل، حسين محمد، مصطفى عبد الفتاح: موسوعة علم والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993م، ص 745.

عليها الشخصية"<sup>1</sup> ومن خلال التعريفين السابقين يتضح أن مفهوم الذات ينشأ من العلاقة بين الذات المدركة والبيئة المحيطة بالفرد، وهو ما يراه الفرد بداخله عن نفسه وكل ما يحيط به كالعائلة والمدرسة وغيرها.

كما يعرف مفهوم الذات بأنه " مجموعة من الأبعاد والتصورات التي يراها الفرد في نفسه من خلال مجموعة من الصفات أو السمات أو الخصال الشخصية والانفعالية والدينية والاجتماعية والتحصيلية وسمات الإنجاز والارتباط والقيادية والمشاركة الاجتماعية والأسرية"<sup>2</sup>.

ولعل ما يمكن استنتاجه مما سبق أن مفهوم الذات واسع ومتعدد الدلالات ولا يمكن حصره في تعريف واحد جامع، وبالرغم من ذلك فيمكن اعتبار الذات كل شيء يمكن أن يكون له دور أو أثر في الفكرة التي يكونها الفرد عن نفسه وإمكاناته وقدراته والتي يكون لها دور هام في بناء شخصيته.

<sup>1</sup> محمد عبد المقصود: فاعلية كل من الإرشاد النفسي الفردي والجماعي في تعديل مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين المصابين بشلل الأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية، جامعة طنطة، مصر، ص 56.

<sup>2</sup> نيرة عز الدين: مفهوم الذات لدى الأطفال المرضى بالقلب الناتج عن الحمى الروماتزمية في المرحلة العمرية من 11-15 عام من الجنسين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، مصر، ص 11.

## (2) مفهوم الهوية:

يعد مفهوم الهوية من المسائل التي شغلت العديد من الباحثين منذ القدم، حيث كثر الخوض فيها خاصة في السنوات الأخيرة، فهو عند القدماء مبدأ من مبادئ العقل في المنطق الصوري.

الهوية لغوياً مشتقة من الجذر "هو" وهي لفظ تراثي قديم، موجود في المصطلحات مثل "التعريفات" للجرجاني، ومعناه أن يكون الشيء هو هو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهوية، وهو موجود أيضاً في المعاجم والقواميس الغربية في مصطلح "identite" و "identity" وأحياناً في مصطلح "الإنية" المشتق من "أنا" ipseite و "ipseity" بنفس المعنى<sup>1</sup> ولو توقفنا حول ماهية الهوية في اللغة العربية، فإننا نجد أنها تأخذ من قاموس المنجد حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية.<sup>2</sup> تعني كما يقول الجرجاني الحقيقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق<sup>3</sup> يتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية، فالهوية لغوياً أن يكون الشيء هو هو وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق.

والماهية أن يكون الشيء " ما هو " بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل " هو" والمعنى واحد وقد يجعل البعض الماهية أكثر عمقاً من " الهوية ".<sup>4</sup>

يمكننا أن نأخذ تعريف أريك أريكسون (Erik H. Erikson) الذي حاول إعطاء تعريف شامل لها "محصلة التفاعل بين مركبات نفسية وأخرى اجتماعية، فكما يعني الفرد امتلاكه لهوية متميزة تمنه دوماً الشعور بانفرادية الذات يحس الآخرون امتدادها عبر الزمن ووحدة كيان

<sup>1</sup>حسن حنفي حسنين: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 17.

<sup>2</sup>لويس معلوم: المنجد في اللغة العربية والأدب والعلوم، بيروت، لبنان، ط8 (مادة هوية) ص 564.

<sup>3</sup>الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1988، ص 257.

<sup>4</sup>حسن حنفي حسنين: الهوية، ص 10.

الشخصية وديمومة إدراك الفرد ثبات نفسه، يتمثل مع ما يقدمه مجتمعه من نماذج ثقافية أو ما يطرحه من صور ذهنية حتى يصل إلى هويته النهائية<sup>1</sup>.

يمكن تعريف الهوية بوصفها منظومة من المعطيات المادية والمعنوية، والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية.

كما يمكننا الإشارة هنا إلى أن "غوردون ألبورت" (Gordon Allport) يرى الشعور بالأنا أو الهوية مركب من عناصر أساسية ستة هي:

\*الشعور الجسدي.

\*الشعور بالهوية الزمنية.

\*الشعور بالتقدير الاجتماعي.

\*الشعور بالملكية.

\*تقدير الذات.

\*الشعور بالقدرة على التفكير والمحاكمة.

\*الجهد المركزي (اهتمام الكائن)<sup>2</sup>.

نفهم من هذا أن مجمل حاجات الإنسان تعمل بشكل مباشر على تحديد هويته والتي انعدامها يحدث خلافاً جوهرياً في نفسه.

مما سبق يمكن تعريف الهوية بأنها ما به يمكن للفرد أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة التي ينتمي إليها، فالشعور بالهوية ينطوي على مجموعة من المشاعر المختلفة كالشعور بالوحدة والتكامل، والانتماء والقيمة والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود.

<sup>1</sup>هدى جباس: هوية وتراث مقارنة إنثروبولوجيا لدلالة الاسماء في قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، 2003 - 2004، ص57.

<sup>2</sup>إليكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ط1، 1993، ص72.

## 3) مفهوم التحرر:

أخذ الحديث عن الحرية يستحوذ على مساحة كبيرة من إنتاج المفكرين المعاصرين، وأمست قضاياها وموضوعاتها محل اهتمام بالغ من لدن المهتمين بالعلم والمعرفة، كما تعددت مفاهيم هذا المصطلح عند المذاهب المختلفة، لكنه ورد في إعلان حقوق الإنسان الصادر عام 1789م على أنه "حق الفرد في أن يفعل ما لا يضر الآخرين"، والحرية في الإسلام هي ما وهبه الله للإنسان من مكنة التصرف لاستيفاء حقه وأداء واجبه دون تعسف أو اعتداء وعند الغرب هي الانطلاق بلا قيد، والتحرر من كل ضابط والتخلص من كل رقابة، ولو كانت تلك الرقابة نابعة من ذاته.

والحرية هي حق من حقوق المرء فهي خاصية تميز الكائن الناطق عن غيره من الكائنات والإنسان الحر هو من لم يكن عبداً أو أسيراً.

تحمل مادة حرر أربعة معان متميزة:

## الأول: معنى خلقي

هو الذي كان معروفاً في الجاهلية وحافظ عليه الأدب، نقرأ في اللسان: الحرة تعني الكريمة، يقال ناقة حرة، ويقال: ما هذا منك بحرّ أي بحسن.

## الثاني: معنى قانوني

وهو المستعمل في القرآن الكريم، مثلاً: ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾<sup>1</sup> وأيضاً في: ﴿..نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾<sup>2</sup> وفي كتب الفقه مثلاً: ولا يُقتل حر بعبد ويقتل به العبد "رسالة الغفران".

<sup>1</sup>سورة النساء الآية 92.

<sup>2</sup>سورة: آل عمران، الآية: 35.

## الثالث: معنى اجتماعي

وقد استعمله بعض متأخري المؤرخين: الحر هو المعفى من الضريبة.

## الرابع: معنى صوفي

نقرأ في تعريفات الجرجاني: " الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والايثار وهي على مراتب<sup>1</sup>.

ونستشفها أيضا من خلال معنى الآية قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) وَإِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)﴾<sup>2</sup>، وترجع نشأة الحرية إلى الكلمة اللاتينية "liber" وتعني قدرة الإنسان على التحرك والتصرف والقيام بأي عمل.

وهي عند "محمد حسين الخضر" "الإطار الذهبي الذي يبدو فيه الإنسان وهو يرفرف في أفقه الإنساني الرفيع، متميزاً به على سواه من المخلوقات... لقد منح عقلاً وتفكيراً وإرادة، وفتحت له أبواب الاختيار والتميز بمقتضى هذا العقل وتلك الإرادة"<sup>3</sup> نلمس في تعريف محمد الخضر إشارة إلى العقل باعتباره مناط التكليف ومنبع الحرية، فالحرية مرهونة بالعقل الذي تميز به الإنسان عن الكائنات جميعها.

أما المفكر الجزائري "عبد الحميد ابن باديس" فربط بين الحرية والحياة واعتبرهما مرادفان وأي محاولة لمصادرتها أو التعدي عليها بأي شكل من الأشكال تعدي على الحياة نفسها إذ يقول: "فحقّ كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده

<sup>1</sup> عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2012م، ص16.

<sup>2</sup> سورة: الانسان، الآية، 2-3.

<sup>3</sup> سلطان بن عبد الرحمن العميري: فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، مصر، ط2، ص 10.

من حرية، والمعتدي عليه في شيء من حريته كالمعتدي عليه في شيء من حياته<sup>1</sup> غير أننا لو أردنا التفصيل في هذه الكلمة بمختلف معانيها، سنجدتها تختلف من مكان إلى آخر "فالتحرر من السجن الذي هو مكان، ليس كالتحرر من العادات والتقاليد مثلاً والتي تمثل الجانب المعنوي لتحيلنا إلى تطبيق يؤدي إلى جانب مادي حركي حيث تحيل الحرية إلى الحركة، الخروج من هنا، الذهاب خطوة أبعد من المعتاد"<sup>2</sup>، أي التمرد على ما هو عليه، رافضاً وضعه، ويريد التحرر منه.

ومما سبق ذكره نتوصل إلى أن الحرية من أهم المطالب الإنسانية، وأمنية من أعلى الأمنيات، وضرورة من أكثر الضروريات عمقاً وتأثيراً في حياة الإنسان وقيمة من أنفس القيم وأعلاها، وحق من أئمن الحقوق، فهي ليست مجرد أمر ثانوي لدى الناس، ولا حالة مترفة عند الشعوب بل يمكن اعتبارها مرادفاً للحياة.

#### (4) مفهوم المكان:

يعد المكان من أهم العناصر المرتبطة بحياة الإنسان الذي لا يستطيع الانفصال عنه، فهو الحيز الذي يعيش فيه ولهذا حظي باهتمام الكثير من اللغويين والدارسين وقد اختلف حول مفهوم هذا المصطلح، وبات كل ما يتعلق به مثير للجدل، سواء تعلق الأمر بنشأته أو شكله ومضمونه.

<sup>1</sup>المرجع السابق: ص10.

<sup>2</sup>ياسين الحاج صالح: الحرية (البيت، السجن، المنفى.. العالم) مقال في مجلة الجمهورية، دع، يوم 25-03-2016.

لفظة مكان مأخوذة من مادة (كون) وهي عند أهل اللغة بمعنى الموضع "لأنه موضع لكنونة الشيء فيه"<sup>1</sup>، فالمكان كلمة مأخوذة "من الجذر اللغوي مكن بمعنى امتلك الشيء وتمكن منه"<sup>2</sup>.

ولقد جاء في لسان العرب "المكان الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع"<sup>3</sup>، وفي المنجد نجد المكان جمع أمكنة وأماكن وأمكن "الموضع، ومكن مكانة عند الأمير ارتفع وصار ذا منزلة، والشيء قوي ومتن ورسخ، فهو ماكن، المكان وبه رسخت قدمه فيه، الممكنة: القوة والشدة...."<sup>4</sup>.

كما يذكر ابن منظور أقوالاً تأسيسية في تعريف المكان عند اللغويين فيقول:

- قال ثعلب: يبطل أن نكون مكان فعلا، لان العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك وأقعد مكانك فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه.
- الفراء: لي في قلبه مكانة وموقعة ومحلة.

- أبو زيد: فلا مكين عند فلان بين المكانة، يعني المنزلة.<sup>5</sup>

كما وردت هذه اللفظة عدة مرات في القرآن الكريم منها قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَنذِرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.سورة مريم: الآية، 16.

<sup>1</sup>ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي المصري): لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، مجلد 13، منشورات محمد علي بيضون لنشر السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003، باب (مكن)، ص510.

<sup>2</sup>فضيلة فاطمة درويش: سوسيلوجية الادب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، دط، عمان، الاردن، 2012، ص140.

<sup>3</sup>. ابن منظور: لسان العرب، ص 510

<sup>4</sup> لويس معلوف: المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، ط28، بيروت، لبنان، 1986، مادة (مكن)، ص 771.

<sup>5</sup>سعدي بن سنيتي: الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2017، ص 11-10.

أي تباعدت عن أهله مكاناً مما يلي الشرق عنهم، وقوله: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ سورة ق: الآية، 41. أي نداء اسرافيل عليه السلام حين ينفخ في الصور من مكان قريب من الخلق.

يمثل المكان عنصر محورياً في البناء السردى، يرتبط ارتباط وثيق بالزمان والشخصيات والحدث يقول محمد فتاح " أن الزمان بأنواعه المختلفة هو المكان الذي ينجز فيه، ولذلك فإنه لا مناص عنه"<sup>1</sup> ومن هذا القول نجد محمد فتاح يعتبر المكان الإطار الذي يتحرك فيه الزمان على اعتبار أن الرواية أو القصة فناً زمنياً فيؤكد على أهمية المكان في بناء الرواية وشد عناصرها، فيجمعهم في شيء واحد سواء الشخصيات أو الحدث أو الزمن ألا وهو المكان.

يرى جيرالد برنس (Gerald prince) في كتابه "المصطلح السردى" " هو الأمكنة التي تقوم فيها الوقائع والمواقف والتي تحدث فيه اللحظة السردية"<sup>2</sup>.

أي أن المكان أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث.

أما "هنري متران (Henri Mitterand)" المكان هو الذي يؤسس الحكى لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"<sup>3</sup>، أي أن المكان يؤثر في الشخصية، ويحفزها على إيجاد الأحداث. في حين أن سيزا قاسم فعرفته بأنه "الإطار الذي تسير عليه الأحداث في الرواية كأنه الموضوع الذي تمثل فوقه الأحداث وتسير عليه، يشكله كل روائي حسب ما أراد ورؤاه بما يناسب أحداثه وشخصياته". كما جعلته الركيزة الأساسية في العمل الأدبي فهي تعطي للمكان وظيفتين هما:

<sup>1</sup>شريف جميلة: بنية الخطاب الروائى، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الاردن، ط1، 2010، ص193.

<sup>2</sup>جيرالد برنس: المصطلح السردى (معجم المصطلحات) تر: عابد خزندار، المجلس الاعلى للثقافة، مصر، ط1، 2003، ص214.

<sup>3</sup>حميد الحميداني: بنية النص السردى من منظور النقد العربى، المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص65.

\*وظيفة تفسيرية: تجسد مظاهر الحياة الخارجية (مسرح، منازل، أثاث، أشياء تكشف عن حياة الشخصية من كل جوانبها النفسية الاجتماعية والثقافية).

\*وظيفة تعبيرية: تتجلى من خلال إيحائية ورمزية الأشياء لدي المتلقي وما تثيره في نفسه فتجعله يبني المكان بناءً ذهنياً جديداً له خصائصه<sup>1</sup>.

ويمكننا أيضاً أن نأخذ مفهوم "شاكر النابلسي" في كتابه "جماليات المكان في الرواية العربية" حيث قدم عدة مفاهيم مهمة، من بينها قوله: <<ربما كان المكان أهم المظاهر الجمالية في الرواية العربية المعاصرة مما يستدعي من النقاد وعلماء الجمال العرب الاهتمام به وتقصيه ودراسته...>><sup>2</sup>.

لا يمكننا أن نتحدث عن المكان دون أن نخرج على الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض\* الذي يعتبر تعريفه للمكان من أهم التعريفات حيث يقول "هو كل ما عنى حيزاً جغرافياً حقيقياً من حيث نطلق الحيز في الحد ذاته على ذاته على كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما ينم عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد والأحجام..."<sup>3</sup>، مما يعني أن المكان غير مقتصر على الفضاء الجغرافي فقط بل يشمل أيضاً كل ما يتعلق به.

إن يعد المكان المكون السردي والركيزة الأساسية التي يرتكز عليها العمل الروائي أو القصصي بأكمله، ويمكننا أن نشبهه بالجسر الذي يربط بين ضفتي النهر، فبين بداية السرد

<sup>1</sup> سعدية بن سنتيتي: الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ص 86.

<sup>2</sup> شاكر النابلسي: جمالية المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 10.  
\*عبد الملك مرتاض: ناقد، أستاذ وأديب جزائري حاصل على الدكتوراه في الأدب ولد في العاشر من أكتوبر 1935م بولاية تلمسان، رئيس المجلس للغة العربية 2001م شغل منصب أستاذ لمقياس الأدب الجزائري من أهم صفاته بين طلبته تواضعه وسمته كان مرجعاً في لجنة التحكيم لمسابقة شاعر المليون في أبو ضبي وعضو في لجنة الحكم لمسابقة أمير الشعراء (أبوظبي)، من مؤلفاته "نهضة الأدب المعاصر في الجزائر 1971م"، "دماء ودموع"، "ثلاثية الجزائر روائية تاريخية"، "ثنائية الجحيم"، "نظام الخطاب القرآني". ينظر الى الموقع: [https:// www.marefa.org](https://www.marefa.org). أطلع عليه يوم: 2021/05/06

<sup>3</sup> باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص 177.

ونهايته يتواجد المكان ليؤطر الأحداث وتتحرك في فلكه الشخصيات "زيادة على ذلك هو يبرز الطابع الرئيسي للنص ويضفي عليه طابعاً نفسياً ورمزياً وإيدولوجياً، كما أنه يتحكّم في حركته، ويكون فاعلاً في شخصياته"<sup>1</sup>.

من خلال تعريف هذه المفاهيم أنفة الذكر ورغم تشعبها وصعوبة إيجاد مفهوم محدد ودقيق لكل منها، إلا أنه يتضح علاقتها ببعضها البعض، حيث يؤدي كل مفهوم إلى الآخر، فهوية الإنسان تعبر عن ذاته والتي يشكل فيها المكان أبعادها المختلفة ومركز قوتها، والمكان إذا غاب أو سلب ضاعت الحرية وهذه الأخيرة مطلب كل إنسان على وجه الأرض.

<sup>1</sup>سعدية بن ستيّتي: الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ص18.

# الفصل الأول

تحرير المكان وتشخيصه

أولاً: استتطاق المكان

ثانياً: سطوة المكان وقدسيته

ثالثاً: المكان بين الانفتاح والانغلاق

## أولاً: استنطاق المكان

تعدّ أنسنة المكان من الظواهر الفنية التي حظيت بالاهتمام والتي تضي على العمل الأدبي جمالية تشدّ القارئ وتبرز من خلالها قدرة المبدع على خلق فضاء موحى بالدلالات. وظاهرة أنسنة المكان أو استنطاقه ليست بالجديدة " فلقد ورد في صحيح البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، الحديث النبوي الشريف: عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: <حظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى "أحد" وقال "أحد جبل يحبنا ونحبه" إن إضفاء النبي صلى الله عليه وسلم صبغة الإنسانية على جبل أحد ليس من قبيل المجاز، بل من باب الحقيقة التي لا يدركها إلا الأنبياء عليهم السلام><sup>1</sup>.

في حالة استنطاق المكان أو أنسنته "تتألف الذات الإنسانية المبدعة مع الذات غير العاقلة (المؤنسة) التي قد تكون مكاناً أو حيواناً أو طيراً أو ظاهرة من الظواهر الطبيعية، هذه الذات غير العاقلة تذوب ماهيتها الحقيقية وتكتسب عوضاً عنها ذاتاً إنسانية لأن الذات الإنسانية المبدعة تقوم أثناء الأنسنة بعملية إسقاط نفسية لمشاعرها وعواطفها وخصائصها على الموضوع الذي تؤنسه، مما يجعله يتوازى ويتماهى مع الذات العاقلة"<sup>2</sup> ولذلك تصبح الذات غير العاقلة عاقلة، وبالتالي تخرج من وظيفتها البيولوجية إذا كانت حيواناً أو طيراً أو طبيعة لتقوم بدور إنساني جديد، ينسجم ويتماهى مع قلبها الجديد فيبدو حضورها في العمل الأدبي متمسماً بالجمال والروعة.

إنّ أبرز ما يلفت الانتباه في المجموعتين القصصيتين "تقاسيم الفلسطيني" و"حدث ذات جدار" أنسنة المكان عبر قصة "بكي الجدار"، إذ يحمل العنوان مفارقة تمثلت في بكاء الجدار

<sup>1</sup>إيمان جريدان: هوية المكان وتحولاته قراءة في رواية طوق الحمام، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 2021م، ص 161.

<sup>2</sup>مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمان منيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، د ط، 2009م، ص 10.

والذي أساسا يتكون من مواد صلبة تمتاز بالقسوة فتأتي المفارقة لتخرج هذا الجدار من حالة القسوة والصلابة إلى دلالة أخرى مختلفة عن طبيعته وهي البكاء وهذا الأخير إنّما يدل على الحزن والفقد، فهذا الجدار تخلى عن جبروته وصلابته ليتحول إلى إنسان يشعر وقد أشار القرآن الكريم في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>1</sup>، إذن الصهاينة أشد قسوة من صخر هذا الجدار حيث اكتسب صفة الإنسانية أين جعلته الكاتبة، مشاركاً في الأحداث وبطلاً من أبطال قصصها يشعر بما يشعر به ساكنوه "وحده الجدار من كان يعرف أين يختبئ "نور" من مطارديه...وكم كاد يتمنى من أعماقه الإسمنتية الصلدة القاسية لو يستطيع أن يملك نطقاً ليوصل سلام "نور" المشتاق إلى الصغيرة "نور" التي تنتظره على الجهة الأخرى<sup>2</sup> فبالرغم من أنه كان الهدف من زرع الجدار استيطاني، إلا أن الكاتبة استطاعت أن تضي عليه لمسة إنسانية عبر حديثه الداخلي ورغبته في جمع شمل هذين الطفلين اللذين فرق بينهما رغماً عنه، كما ورد في نفس السياق "فارتدّ الجدار إلى نفسه مخزياً خجلاً من قسوته على قلب طفلين لا يريدان من الحياة إلا أن يلتقيا"<sup>3</sup> لأنّ إنسانيته جعلته يشعر بالذنب ويرى نفسه المسؤول عن تفرقتهما وهو ما نلمسه في حزنه، "حزن الجدار على الطفلين المتغالين حزناً وحسرة لأنه حرم أحدهما من الآخر جريمة إنهما فلسطينيين"<sup>4</sup>.

ولعلّ هذا ما كانت ترمي إليه القاصّة عندما أنسنت المكان لكي تنتفض مشاعرنا وبغمرنا الألم والحزن لإقامة هذا الجدار، الذي هو نفسه لم يكن راض عما يقوم به أو أجبر عليه وهنا

<sup>1</sup>سورة البقرة: الآية 74.

<sup>2</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2015م، ص19.

<sup>3</sup>المرجع نفسه: ص 19.

<sup>4</sup>المرجع نفسه: ص 19.

يتضح لنا أن الجدار أكثر إنسانية من الذين وضعوه، فالأدبية كما لاحظنا تؤنس تجليات العالم الخارجي، وتدخلها إلى عملها الفني، وتدعها تقوم بدورها الإنساني الجديد، لتسهم في خلق المناخ العام الذي تطمح أن تحققه، ولتجعلها تتجاوب مع الفلسطيني المحتل ومشاعره وأفكاره كما تشاركه المعاناة والقهر والتهجير، وتجيء هذه المجاورة نتيجة لحاجة ذاتية وفنية، تسعى إلى تفسير الأحداث تفسيراً داخلياً متميزاً وتصوير الحياة برؤية جديدة تتسم بالشمولية والإنسانية المطلقة لأن المبدع يرى " من الضروري خلق مجاورات جديدة بين الأشياء والأفكار تتجاوب وطبيعتها الفعلية... وعلى أساس هذه المجاورة الجديدة للأشياء يجب أن تتكشف لوحة جديدة للعالم مشبعة بضرورة داخلية حقيقية"<sup>1</sup>.

لم تلجأ "سنا شعلان" إلى أنسنة المكان لإثارة القارئ بإضفاء البعد الغرائبي على نصها فحسب، بل لتعكس سطوته على الإنسان وقدرته على اختلاس دور البطولة منه وهو ما نلاحظه في القصة التي حملت عنوان "شجرة" من المجموعة القصصية "تقاسيم الفلسطيني" فالشجرة هنا مثلت رمز الكفاح والدفاع عن الأرض "...إلا أن هذه الشجرة قد رفضت أن تغتال، انبلج ساقها عن مرقد في داخلها، ابتلعت الحاجة "فريدة" وعصبت أعالي أغصانها بطرتها البيضاء، وانبرت تدوس الجرافات بجذورها العملاقة...هرب الناجون القليلون من الصهاينة من وجه هذه الشجرة الفدائية، ورفضوا أن يعودوا..حيث تنتصب الشجرة الفلسطينية المقاتلة"<sup>2</sup>.

فقد أصبح المكان (الشجرة) جزءاً فاعلاً في القصة ومشاركاً صنع أحداثها.

قد يغدو استنطاق المكان دعماً من صاحب النص ليجعل القارئ يشعر بقيمته أي المكان وبفائض الألفة والحميمية التي لا تتحقق للإنسان إلا في الأمكنة التي ولد وعاش فيها " البحر اعتاد على كلامهم وترانيمهم وأحلامهم وطقوسهم في الصيد...هو يعشقهم منذ آلاف

<sup>1</sup>باختين ميخائيل: أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، دمشق، سوريا، 1990م ص 190-120.

<sup>2</sup>سنا شعلان: تقاسيم الفلسطيني، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2015م، ص41.

السنين يعشق أهل الساحل الفلسطيني الذي عقد معهم حلف محبة منذ الأزل<sup>1</sup>، فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة فكما يألف الإنسان محيطه الذي نشأ وترعرع فيه، قد يبادلُه المكان نفس الألفة، فالبحر يحفظ تفاصيل معاناتهم ويشعر بالحزن والأسى لمنع الصهاينة الصيادين من ارتياده، لقد وجد الإنسان الفلسطيني في الجمادات العزاء الذي لم يجده في بني جلدته ممن يدعون الإنسانية، فالمكان في حد ذاته آمن بحق الفلسطيني في استرداد أرضه وأبى على نفسه أن يشارك في ظلم وقهر الصهاينة المحتلّين لأصحاب الأرض وهذا ما تجلّى واضحاً في موقف كلِّ من "الجدار" و"المعبر" من نفسيهما "حدّق الجدار العازل في حياته المعيشة فوجد نفسه جداراً كريهاً، من باطنه المظلوم وظاهره الظالم فكّر ثم قرّر ثم دبّر، في الصباح استيقظ الفلسطينيون والصهاينة فلم يجدوا الجدار فقد رحل دون عودة رافضاً أن يظل شريكاً في هذه الجريمة النكراء"<sup>2</sup>.

وقد تنوعت أساليب الكاتبة في اعتمادها على أنسنة المكان فقد استخدمت "مجال الفنون البصرية كوسيلة معينة على تحقيق المعاني التي تود إيصالها والأفكار التي ترنو إلى طرحها"<sup>3</sup> وقراءتنا في اللوحة الفنية ستكون ذات طابع ثنائي الأبعاد، تعتمد على تفاصيل اللوحة وإشارات الكاتبة التي بثتها في نصها والتي يمكن أن تقرّنا إلى قصديتها، أي نستعين بالمشاهدة العينية للوحة وما جاء مكتوباً حولها في قصة "رسام" والتي تتدرج ضمن محور "تقسيم الشتات" ربع قرن من عمره المضني بالغرابة والتهجير أمضاه في بلاد الصقيع يرسم وطنه فلسطين في لوحات شتى.... مع طلوع الشمس أنهى رسم اللوحة كانت اللوحة كانت لوحة لباب كبير مطوق بأشجار الياسمين البري وله مزلاج نحاسي كبير على شاكلة باب جده في قريته

<sup>1</sup>المصدر نفسه: ص 42.

<sup>2</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 79.

<sup>3</sup>إيمان جويوة: هوية المكان وتحولاته، قراءة في رواية طوق الحمام، ص 165.

السلبية<sup>1</sup> للكاتبة أسهبت في وصف المكان الهوية، من خلال اللوحة التي صورت الباب الذي يرمز لأمل الفلسطيني في والولوج لوطنه من خلاله، لتنتهي حياته مع فتح ذلك الباب أين تلج روحه لفلسطين ويحقق حلمه الجميل. "فارقت روحه جسده بدعة، وداعبته مودعة بنقر أصابعه التي تنفك تمسك ريشة رسمه، وفتحت الباب المرسوم في اللوحة ودلفت إلى فلسطين لتحقيق حلمه الوحيد بالعودة إلى فلسطين"<sup>2</sup>.

سبق وأن ذكرنا أن الناس أحبوا أمكنتهم وألّفوها وحتى قدسوها، لأنها أصبحت تمثل ذواتهم وكياناتهم فظلوا منسجمين متوحدين بها رغم التحولات الكبيرة التي تعرضت وتعرض لها، مما جعلها تكتسب ذواتهم الإنسانية ولأن المكان أنس وأصبح ذاتاً عاقلة أرتبط الإنسان معها بصلة لا شعورية فحملت ذاته العاقلة ومشاعره السامية وإحساسه الحاد فأحبها وألّفها لدرجة العشق وتعاطف شعورياً معها في بعض الحالات وعدّها في حالات كثيرة شبيهة به وفي حالات أخرى أفضل منه وأكثر إنسانية ووعياً، وهي بالمقابل أنست به، وبادلته الألفة، وأحست بالمحن القاسية التي تعذبه وتجعل حياته جحيماً لا يطاق، حيث أظهرت تعاطفاً معه وسخفاً على الذين يتسلطون عليه ويستعبدونه ويتفنونون في إذلاله.

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 109.

<sup>2</sup>المصدر نفسه : ص 110.

## ثانياً: سطوة المكان وقديسيته

قد يتجاوز المكان - أحياناً - كونه مجرد إطار للأحداث من خلال علاقته بالإنسان إلى أبعاد إيحائية باعتباره العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها، فالتجاوز في دراسة المكان من حيث جماليته وشعريته إلى دراسة هويته من منطلق أنه لا حياة ولا وجود للإنسان بدونها، فهو مصدر سعادته إن وُجد وسبب شقائه إن سلب والمكان الروائي ما هو إلا محايثاً لغويّاً له، يحضر في العمل الإبداعي ليقول شيئاً عن الواقع.

وتكمن أهمية المكان في الوظائف التي يؤديها داخل المتن القصصي، فالمكان قد يُوظف لغايات مختلفة يستطيع القاص أو الروائي بعبقريته وقدرته أن يخرج المكان كعنصر العمل الأدبي من وجوده الواقعي إلى واقع متخيل يفصح عن وجوده وفعله وإمكانية قدرته على بلورة الأحداث وسير الشخصيات فيحقق لذلك وظائف عديدة، إذن "المكان ليس مجرد ديكور، بل هو الذي يوطر الحدث الذي ينشأ عن فعل الشخصية وبالتالي فإن وجود الشخصيات داخل الأحداث هو الذي يساعد على تشكيل المكان"<sup>1</sup>.

فالمكان في القصة هو معروض من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث والأفكار، ومن خلال تفاعلها جميعاً معه، فهو يؤثر فيها ويقوي من حضورها كما يعبر عن أغراض المؤلف التي تكوّن جهازه المعرفي"<sup>2</sup>، وهذا ما نلاحظه في المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" التي صوّرت لنا الجدار بأبشع الصور كشاهد على ما اقترفه الكيان الصهيوني في حق الفلسطينيين العزل، والهدف من هذا التصوير هو إيصال يوميات الفلسطيني وما يعانيه من تهجير وتشريد وشتات وقتل وحشي على بوابة ذلك الجدار الفاصل العنصري الذي فرّق وشتت شمل الكثير من

<sup>1</sup> عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، (البنية الزمنية والمكانية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2010م، ص 38.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 41.

العائلات الفلسطينية مدمراً أحلامها وطموحاتها في العيش بسلام في أرضها، والتعريف بالقضية الفلسطينية للعالم من جهة أخرى، لقد اهتمت الكاتبة اهتماماً بالغاً بالمكان، حيث وزّعت أحداث نصيها على عدة مدن ( دبي الإماراتية، إسكندرية، القاهرة، بيروت،....) وبلدان (فلسطين، الجزائر، الأردن، مصر...) ونهجت نهج الروائيين الواقعيين في اختيارها أسماء حقيقية للأحياء والشوارع، والكنائس والمساجد (المسجد الأقصى...) والمقابر وأماكن أخرى (مخيم اليرموك، مخيم نهر البارد....) لتضفي على عملها هالة من الحقيقة والواقعية وهذا حتماً يعطي للقارئ إحساساً بأنه يستطيع أن يتحقق من وجودها وأن يذهب إلى زيارة هذه الأماكن<sup>1</sup>، ففي قصة "إضاءة على ظلام" من نفس المجموعة أعطت الكاتبة لمحة تاريخية عن إنشاء الجدار "الجدار العازل أو الجدار الفاصل هو عبارة عن حاجز طويل بناه الكيان الصهيوني في الضفة الغربية من فلسطين المحتلة قرب الخط الأخضر لمنع دخول الفلسطينيين سكان الضفة الغربية إلى الكيان الصهيوني أو إلى المستعمرات الصهيونية القريبة من الخط الأخضر...."<sup>2</sup> كما أعطت بعض التفاصيل لشكله الخارجي " يتشكل هذا الجدار من سياجات وطرق دوريات، أو من أسوار أسمنتية بدل السياجات في المناطق المأهولة...بدأ بناء الجدار في عام ألفين واثنين في ظل انتفاضة الأقصى."<sup>3</sup>

كما يقوم المكان في الرواية بوظيفة التحسيس بواقعية الأحداث "تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيته"<sup>4</sup>. فالمكان الروائي ليس مجموع الأشياء الملموسة والظاهرة فحسب بل هو الذي يجعل من أحداث القصة بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع فكل فعل لا يمكن تصوره ووقوعه إلا ضمن إطار

<sup>1</sup> سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م، ص 117.

<sup>2</sup> سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 13.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 13.

<sup>4</sup> عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، ص 41.

مكاني وهذا ما ذهب إليه " هنري متران " عندما أعتبر "المكان هو مؤسس الحكى لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة أي عند نزولها من مخيلة الأديب إلى أرض الواقع " <sup>1</sup> وتظهر أهمية المكان أيضاً في قول "حسن البحراوي" إن المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة بل أنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله <sup>2</sup>.

ومن خلال عتبة المجموعتين يتجلى ذلك، فقد حملت المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" اسم المكان المحوري الذي دارت جلّ الأحداث في فلكه، كما أن القاصة افتتحت وأنهت به مجموعتها في قولها " من واجب الجدار الفاصل أن يخجل من نفسه وأن يبكي - ولو سراً - احتجاجاً على طغيانه واشمئزازاً من وجوده " <sup>3</sup> وهو ما ينطبق عن مجموعة "تقاسيم الفلسطيني" فلفظة " الفلسطيني " مصدرها "فلسطين" مضافة إليها ياء النسبة التي تحيلنا إلى أرض فلسطين، والتي وإن دارت جلّ الأحداث خارجها إلا أنها كانت اللحم الذي يغمر المهجرين بالعودة إليه.

إن جمالية المكان لا تتجسد فقط بتسمية الأمكنة في القصة، وتحديد أبعادها الهندسية ولا حتى بجمالها الطبيعي المادي بل إنها تتجسد قبل ذلك بمدى تفاعل الروائي معها وبالكيفية التي يعبر بها عنها، تتناول الكاتبة تفاصيل وصف المكان من أشياء وأثاث وأشكال ومصطلحات فنية، ذلك أن هذه التفاصيل " تقتحم المناطق الهامشية من المكان، وتمنحها فرصة الحضور الحسي والوجودي " <sup>4</sup>، وتزيد المكان شعرية وكثافة وامتلاء " هاهو عالمه وسعيه وسنين طويلة من عمره ينهار أمام عينه مع انهيار منزله يجلس على كرسي خيزران أعرج القدم ملوّح اللّون من

<sup>1</sup> إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المعاصرة، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، دط، الجزائر، 2002، ص34.

<sup>2</sup> حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي "الفضاء، الزمن، الشخصية" المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1. ص33.

<sup>3</sup> سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 9.

<sup>4</sup> خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفية، دط، الرياض، 2000م، ص 417.

شمس طرفته لسنين<sup>1</sup> فأهميته وفعاليته لا تقل عن العناصر الأخرى كالشخصيات والزمن، فهو الوعاء الذي يحوي الحدث ففيه " تولد الشخص وتتحرك نحو النمو الروائي، وتتدافع الأحداث نحو التعقيد والذروة، وبحسبك أن تتصور أشخاصاً يولدون في اللامكان يتحركون في فراغ، وبحسبك أن تتصور أحداثاً تتم، فضلاً عن أن تتشابك وتتنامى في اللاشيء"<sup>2</sup>، وكما نعلم أن البنية السردية تقوم على هذه العناصر مجتمعة، يكمل بعضها بعضاً، ومنه يغدو المكان الركيزة أو المسرح الذي تتفاعل عليه هذه العناصر سائرة في فلكه وتحت سطوته.

والحديث عن سطوة المكان يقودنا إلى للحديث عن قداسته والتي اختلف في تعريفها باعتبار تعدد أبعادها "لفضة القداسة أو المكان المقدس هو المنزه والمطهر، وأرض مقدسة أي مباركة، ويحصرها ابن منظور في الشام وبيت المقدس"<sup>3</sup>، وترجع قدسية أرض فلسطين إلى كونها أرض المسجد الأقصى\* والصخرة المشرفة، وفي نموذجنا طغى المكان بتجسيده دور البطولة مهيماً على غيره من العناصر "هبط الفلسطيني على الأرض يحمل منجلاً، ولا شيء أكثر، لم يعشق منجله إلاّ الأرض التي يحصد كنوزها بشهوة وارتضاء....جاء الغرباء ليسرقوا الأرض من المنجل، المتيم بها.....وبعد أن رحل الغرباء الناجون من سطوة منجل الفلسطيني، عاد المنجل

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 104.

<sup>2</sup>صفوان خطيب: الأصول الروائية في رسائل الغفران، دار الهداية، القاهرة، مصر، ط1، 1984، ص13.

<sup>3</sup> الحاج القديري: مقال "مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية"، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 27، 2021م، ص582.

\*يوجد بفلسطين وهو من الأماكن المقدسة عند المسلمين، يرجع تاريخه إلى عهد قديم سبق الإسلام والمسيحية واليهودية جميعاً ويسمى أيضاً بيت المقدس وقيل سمي بذلك لأنه المكان الذي ينظر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي أو إلى انه المكان الخالي من الشرك والمعاصي، ولذلك كانت الملائكة تؤمه وتطوف به وكان الأنبياء عليهم السلام يعبدون الله فيه، وزاد من قدسية هذا المسجد الصخرة المشرفة فهي مقدسة ومصدر قدسيها أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء، وهي المكان الذي صعد منه النبي محمد ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج إلى السموات العلا وهي المكان الذي يُنادي منه الناس يوم القيامة، ويعد المسجد الأقصى مهبط الملائكة ومبعث الأنبياء، فيه نزل الوحي السماوي على كثير من الأنبياء كداوود وسليمان وعيس عليهم جميعاً السلام، ينظر مقال حاج القديري "مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية"، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد السابع والعشرين، 2 كانون الثاني 2021م، جامعة ابن طفيل، الاختلاف في العلوم الشرعية.ص582.

من جديد يتفرغ لعشق الأرض<sup>1</sup> نلمح في المقطع من القصة وكباقي القصص تمسك الفلسطيني بأرضه وعشقه لها حيث حمل المنجل رمزية الهوية الفلسطينية، كما عبّرت "سناء شعلان" في آخر المقطع والمجموعة عن نظرة استشرافية آمنة من خلالها استرداد فلسطين.

وتتمظهر قدسية المكان من خلال المجموعتين في:

\***المكان شخصية:** المكان واحد من أبطال القصة وسارد للأحداث إذ أن الكاتبة صبغت "البحر" بصبغة إنسانية فجعلته يشعر ويتكلم ويكتئب كالصيادين "البحر يحفظ تفاصيل معاناتهم، ويحرّك بحزن وأسى لباد شعره المائي المخضوضر يزيد زلق كَلَم منع الصّهاينة الصيّادين من الوصول إليه"<sup>2</sup>صورت لنا القاصة البحر وجعلته يغضب من أفعال الصهاينة الذين مُنعوا الصيادين من كسب قوتهم.

\***المكان الهوية:** تتشكل هوية الأفراد من هوية المكان الذي يُنسبون إليه فالمكان يترك حفرياته على شخصية ساكنيه فبتعدد ارتسامات الذاكرة تتعدد لنا تجربة الشخصية في المكان " ذلك أن المكان هو فضاء يعيش فيه الإنسان ليس بشكل موضوعي فقط، ولكن بشكل رمزي من خلال ما يحلم به الإنسان أو يتذكره، أي من خلال ما ينسجه من علاقات بالمكان"<sup>3</sup>، فالإنسان تتماسك هويته باستقرار هوية المكان الذي يعيش فيه، وتتمزق وتتشظى بتشظيه.

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 156.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 24.

<sup>3</sup>محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010م، ص 105.

حيث أشار إليه "غاستون باشلار (Gaston Bachelard)"\* في كتابه "جماليات المكان" "لا وجود خارج المكان، ليس بقعة جغرافية نعيش عليها بل هي غريزة إنسانية محفورة عميقاً في ذواتنا وذاكرتنا وهويتنا"<sup>1</sup>.

"هذه الأشجار ليست أشجاراً كما تبدوا، كل شجرة تنمو على قبر فدائي، فكل فدائي عندما يموت يصبح شجرة زيتون...ولذلك شجر الزيتون هو شجر مقدّس فهو شجر الفدائيين الفلسطينيين"<sup>2</sup>، والفلسطيني يقدس شجرة الزيتون ويرى فيها عنواناً لانتمائه وهويته.

\* **المكان الحلم:** قد تمثل بعض الأمكنة أهمية قصوى لدى فئة من البشر الذين يبنون أحلامهم انطلاقاً من أمكنة يرنون العيش فيها، فتظل هاجساً بداخلهم يسعون إلى تحقيقه، ويمكن التمثيل لهذا النوع من الأمكنة بما جاء في قصة "الكارورة" عن تلك الفتاة التي وجدت نفسها مضطرة لحرق جثة والدها وتحويلها إلى رماد " والتي كانت تعلم تماماً أن والدها الذي تحبه كثيراً كان يحلم أن يدفن في تراب وطنه....أحرقت جسده في محرقة الموتى معذرة له عن ذلك لجلال الغاية ودست رماده في قارورة، وسافرت إلى فلسطين لتدفن القارورة في تراب فلسطين فعاد والدها إلى تراب وطنه رغم أنوف الصهاينة"<sup>3</sup>.

\* يُعد غاستون باشلار (1884\_1962) واحد من أهم الفلاسفة الفرنسيين، وهناك من يقول أنه اعظم فيلسوف ظاهري، أغنى الساحة المعرفية بمجموعة من الأطروحات والمفاهيم التي أدت دوراً كبيراً في توضيح كثير من القضايا الفلسفية والعلمية خلال القرن العشرين درس الفيزياء والكيمياء، مكنته معرفته بالفيزياء في وقت لاحق من تحديد التغيير المعرفي الذي أحدثه العلم الحديث وعلى وجه الخصوص قياس المسافة المتنامية بينه وبين الفيزياء الكلاسيكية التي أصبحت فجأة نسبية فقط. ينظر الموقع الإلكتروني، [arageek. Com /bio /gaston\\_ baston \\_ bachard](http://arageek.com/bio/gaston_baston_bachard) أطلع عليه يوم 4/ماي / 2021م على الساعة 10:09.

<sup>1</sup> غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص98.

<sup>2</sup> سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 40.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: ص114-115.

لقد نجحت الكاتبة في تجسيد المكان الحلم بالنسبة لهذا الأب المتوفى والذي نجح بدوره في نقل رغبته وشغفه بالعودة لأرضه ولو ميتاً، وابنته التي لم يهدأ لها بال - رغم الصعوبات - حتى حققت آخر وأنبيل أمنياته.

**\*المكان الجمال:** لعب المكان في كثير من المشاهد التي وردت في المجموعتين دوراً جمالياً حيث عمق الإحساس الدرامي للأحداث فبعض المشاهد والأحداث لم تكن لتتوغل في خيال وحس القارئ لولا الخلفية المكانية للمشهد " لطالما استرقت النظر إلى تلك الأرجوحة التي تتماثل بغنج مستقر لها، وهي تغوص في بركة من الأعشاب الخضراء التي تنام تحت قدميها "1. لقد أيقظ المقطع فينا الشعور بجمال المكان وخاصة وهو مرتبط بزمن الطفولة عبر تلك الفتاة التي افتقدت حتى مساحتها الخاصة باللعب وحرمت من أرجوحتها المحببة

### استراتيجية الحواس:

يدرك الكاتب دور الحواس في بناء المكان وفي تلاشي تفصلات أبعاده، فيوظفها بكثافة وبتقنية عالية، خاصة ما يتعلق منها بالروائح والإضاءة والظلال والألوان، والغروب والمطر والموسيقى، مما يزيد في درامية المشهد وشاعريته، إذن نجد لجوء المبدع إلى توظيف الحواس يزيد في جماليات المكان وسطوته، وتحقق لدينا نشوة ومنتعة في تلقي النص " عثرت أمه عليه منزوياً في سرير ملطخ بالموت في إحدى مستشفيات المدينة حضنته وقبلته وركزت رأسه بصدرها المعرورق الفائض بالحزن والقلق ابتسم لها وقال...فلسطين "2 لقد برز وعي الكاتبة الكبير بالحواس كمعيار مهم في بناء المكان ذلك لأهميتها، وبحضورها كاستراتيجية طاغية في تنظيم المكان وتقديمه للقارئ مجسداً بكل أبعاده المتنوعة يقول في هذا "خالد حسين حسين " لن

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 16.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 33.

يكون للمكان سوى دور ثانوي ما لم يشيد في الرواية وفق استغلال واستثمار طاقات الحواس للإيحاء بالأبعاد البصرية والصوتية والذوقية واللمسية<sup>1</sup>.

لقد وهبت الكاتبة المكان دوراً استثنائياً يتسع حضوره بتوسع دلالاته الرمزية، وهكذا يتبين لنا أن البعد الرمزي للمكان يتكشف بتأويل صياغته، وتشابه مدلولاته، وتفاوت إيحاءاته، وهو الأمر الذي طغى في كلتا المجموعتين القصصيتين قصداً لجعل القارئ يتفاعل مع النص ويشعر بأنه المعني بهذا المكان المسلوب.

<sup>1</sup> خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، ص 418.

## ثالثاً: المكان بين الانفتاح والانغلاق

يعد المكان الوعاء الذي تصب فيه جميع مكونات السرد من أحداث وشخصيات وزمان، وقد ارتبط بالرواية والقصة ارتباطاً وثيقاً حتى أطلق عليه ما يسمى بالمكان الروائي، فأضحى المكون الأساسي والعنصر البنائي الجوهرية في العملية السردية. هناك صعوبة في تحديد المكان بصفة دقيقة وموحدة ولكن توجد اجتهادات تطبيقية حددت أنواع المكان وأبعاده وصفاته، وهذه الأخيرة أخضعت لمقاييس ومعايير معينة فكان هناك مكان مجازي هندسي ومعاد وتجربة معاشة وأليف وموضوعي ومفترض وسنقتصر في حديثنا عن المفتوح والمغلق.

## المكان المفتوح:

"هو حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحب، وغالباً ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق"<sup>1</sup> المكان المفتوح هو المكان الخارجي الذي لا حدود له، ويشكل فضاء واسعاً كثيراً ما يكون موجوداً في الطبيعة مثل الشوارع والغابات والهواء الطلق، وتشمل هذه الأماكن المفتوحة كل مكان مفتوح من جوانبه وخصوصاً أعلاه وغالباً ما تمثل الطبيعة والتي هي "ملاذ ينقطع إليه المأزوم كلما انسدت من دونه مسالك الضراء فيسقط عليه ما يشاء من الدلالات والمعاني مما يطمح إليه لتهدن المحنة ويخف المصاب"<sup>2</sup>، تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية أو القصة إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع

<sup>1</sup>أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة نبوية لنفوس ثائرة" دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009م، ص 51.

<sup>2</sup>عبد الصمد زايد: "المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2003م، ص361.

القيم والدلالات المتصلة بها، حيث تمت الرواية أو القصة بمجموعة من التفاعلات والعلاقات التي تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت شاء.

وإذا أردنا الوقوف على الأماكن المفتوح بالبداية مع "فلسطين" والتي أخذت حصة الأسد في كلتا المجموعتين نستعرض نموذجين من كل مجموعة فعن "تقاسيم الفلسطيني" على سبيل المثال لا الحسر "هي أكبر مقبرة في فلسطين"<sup>1</sup> و"مدفوعاً بالحماس والرغبة الطاهرة البريئة بالشهادة وتحرير فلسطين"<sup>2</sup> وعن مجموعة "حدث ذات جدار" نجد "كان يوماً فلسطينياً"<sup>3</sup>، وأيضاً في "أمه فلسطين"<sup>4</sup> كانت هذه الكلمة محور المجموعتين وقلبهما النابض وسبب تأليف هذان النصان الأدبيان من الأساس، وهي نقطة تقاطع أو التقاء الأديان والثقافات وأيضاً السياسة، ولمدنها أهمية كبيرة تاريخياً ودينيّاً وأهمها وعلى رأسها القدس الشريف ومن الأماكن المفتوحة نجد أيضاً "حدقت طويلاً في السماء الممتدة في الأفق دون قيود....."<sup>5</sup> فالسما كانت ملاذ الفلسطيني الوحيد حيث يرى في وسعها أفقاً جديداً وأملاً في الحرية، وعن بطلة قصة "حالة أمومة" في المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" ضحت بفرصتها لأداء فريضة الحج لأداء رسائل السلام والشوق لأصحابها، ولم تستطع أن تخذل جميع تلك الأمهات والأبناء الذين حملوها ما يجيش في خواتمهم من ألم ولوعة الفراق ورأت في تأديتها معنى الحج.

ولشجرة الزيتون نصيب وافر باعتبارها رمز الصمود والثبات في كلتا المجموعتين "...وهو يشرح له باهتمام مغزى أهمية الدفاع عن شجرة الزيتون الذي يملكون في أعالي جبال جرزيم الفلسطينية"<sup>6</sup> فبستان الزيتون هو جنة الأخوين ومنبع فخرهما واعتزازهما فكما جاء على

<sup>1</sup>سنا شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 60.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 83.

<sup>3</sup>سنا شعلان: حدث ذات جدار، ص 15.

<sup>4</sup>المصدر نفسه: ص 15.

<sup>5</sup>المصدر نفسه: ص 44.

<sup>6</sup>المصدر نفسه: ص 44.

لسان الأخ الأكبر "هذه ليست أشجاراً كما تبدو كل شجرة، تنمو على قبر فدائي، وكل فدائي عندما يموت يصبح شجرة زيتون"<sup>1</sup> حيث تمتزج هنا الحياة والموت في ترنيمة لا يعرف معناها سوى من عايشها وشكلت جزءاً من واقعه.

كل الأماكن في فلسطين كانت عرضة للتدمير والتخريب وها هي تعود الكاتبة مصورتاً ذلك في "تفجير كبير في باحة الحي هز أركان البيوت، فاخرقت أذنه...وعبث بضلع صدره..."<sup>2</sup> عن قصة "صمم" من المجموعة القصصية "تقاسيم الفلسطيني" في مشهد يهز القلوب الحية. كما نجد في تقاسيم الشتات تسلط "سنا شعلان" الضوء على الغربة التي يشعر بها الفلسطينيون اللاجئين في البلاد العربية "أيام قليلة، وينتهي تصريح إقامتها وإقامة أبنائها الستة في هذه المدينة الحارة النائية في بلاد العرب حيث يُسمونها أجنبية"<sup>3</sup>.

ليتخبط الفلسطيني من ضياع لضياع ومن غربة في بلده إلى أخرى خارجه حيث وصفت المدينة بأنها موحشة الروح والتي رفضت تجديد تصريح إقامتها فيها.

"قذيفة صهيونية انهالت على سوق الملابس على حين غرة فأحاله إلى جحيم مستقر...شرعت تلم اللحم المتناثر، وتحوشه في صدرها بعد أن عجزت - لأول مرة في حياتها - عن التمييز بين بناتها التوائم الأربع"<sup>4</sup> أرادت الكاتبة أن تخاطب وجدان القارئ من خلال في محاولة منها أيقاظ الرأي العام الذي يغط في نوم عميق حيال هذه المأساة التي يعانيتها الفلسطيني فصورة أن الأم عجزت لأول مرة عن التمييز بين توائمها بسبب تبعث أشلائهم تحرك الضمائر والقلوب وإن كانت ميتة.

<sup>1</sup>سنا شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 40.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 40.

<sup>3</sup>المصدر نفسه: ص 107.

<sup>4</sup>المصدر نفسه: ص 14-15.

ومن الأماكن المفتوحة نذكر أيضاً مدينة قلقيلية " يمر في مسار متعرج يحيط بمعظم أراضي الضفة الغربية وفي أماكن معينة مثل مدينة قلقيلية " <sup>1</sup> هذه مدينة من مدن فلسطين تقع على مقربة من الخط الأخضر تقع أراضيها عند التقاء الساحل مع الجبل وتعتبر خط الدفاع الأول موقعها الجغرافي منحها أهمية خاصة حيث أصبحت نقطة التقاء بين المدن الفلسطينية شمالها وجنوبها.

### المكان المغلق:

هو المكان الذي يكتسي طابعاً خاصاً يتفاعل من خلال تفاعل الشخصية معه، ومن خلال مقابلته لفضاء أكبر انفتاحاً واتساعاً " فالأماكن المغلقة هي التي تحدها حدود من جوانبها الثلاثة على اقل تقدير، بشرط أن تكون له حدود سقوية" <sup>2</sup>.

" فهي تمثل غالباً الحيز الذي يحوي حدود إمكانية تعزل هذا المكان عن العالم الخارجي ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح فهي الملجأ والحماسة التي يطلبها ويأوي إليها الإنسان بعيداً عن ضجة الحياة" <sup>3</sup>.

وتكون الأماكن المغلقة ضيقة بالنسبة للمكان المفتوح وهي مطلوبة ومحبوبة عند الإنسان لأنها تعتبر الملجأ والحماية والأمان الذي يأوي إليه الإنسان عندما يداهمه الخطر أو يتملكه الملل من ضجة الحياة.

كما هي الرقعة التي يختارها الكاتب لأبطاله في الرواية، ويجعلهم يتحركون فيها دون خروج منها وهذا لا يعني أن المكان المغلق يبقى مغلقاً طوال الرواية أو القصة، بل نجد أنه بواسطة

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 13.

<sup>2</sup>رحيم علي جمعة: المكان ودلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003، ص 147.

<sup>3</sup>أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة نبوية لنفوس نائرة، ص 51.

التصورات الخيالية تكسر الجدران السمكية وتمنع البطل فسحة لولوج حيز متخيل ومنفتح على آفاق واسعة.

ويمكننا هنا الإشارة إلى نوعين من الأماكن المغلقة إلى:

### أماكن مغلقة عامة:

وهي التي يرتادها عامة الناس، ويدخل ضمنها: المدارس، الجامعات، المستشفيات، المساجد إلى غير ذلك والتي يرتبط مقدار التواجد فيها بالظرف والحاجة، فتصبح بعض الأماكن أليفة إلينا، والبعض الآخر على عكس ذلك أي معادي فالمسرح أو المقهى أكثر ألفة من المستشفى أو السجن.

### أماكن مغلقة خاصة:

ويتميز هذا النوع من الأماكن بمكوث أصحابها فيها بشكل دائم ولا يحق للأخر اقتحامها، حتى أن لها حرمة في الدين والقانون، كما تتميز باستيعابها لهمومنا حيث تبعث فينا الأمان، وتدخل ضمن هذا النوع الشقق والبيوت والغرف إلى غير ذلك. لكن وجب التنويه هنا أنه لا يمكن اعتبار البيت وحده يتصف بالألفة لأن " المكان الأليف كل مكان عشنا فيه وشعرنا فيه بالدفء والحماية، حيث يشكل مادة لذكرياتنا".<sup>1</sup>

ذكر الجدار في المجموعة القصصية غير مرة فبالإضافة إلى أنه جاء كعنوان للمجموعة حملت كثير من عناوينها هذه أو هذا المكان، ومن المفروض أن ندرج الجدار ضمن الأماكن المفتوحة لكنه يمثل في حقيقة الأمر بالنسبة للفلسطيني قمة الانغلاق والتعتيم، فهذا الجدار فرق العائلات الفلسطينية عن بعضها بل فرق أفراد الأسرة الواحدة، خلف ذلك الصور الذي حجب

<sup>1</sup>رحيم علي جمعة الحربي: المكان ودلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م، ص147.

نور الشمس وجعل الفرد الفلسطيني يعيش في سجن كبير " جاء الجدار العازل في ليلة وضحاها ليحبسه في بيته، ويحبس حبيبته في مشافها بعد أن قطع الطريق بينهما "أصبح هذا الجدار يمثل كابوساً للمتقي فما يلبث ينسأه حتى تعود القاصة لتذكره به في كل مرة، وكأنه يحاصره من جديد.

لا نبتعد كثيراً إذا ذكرنا السجن والتي وردت في نفس المجموعة أكثر من مرة " زجّ بابنها البكر عبد المجيد في المعتقل الصهيوني وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ثم لحقه أخواه الأصغران ليغدو ثلاثتهم أسرى المعتقل المتوحش "2 فالسجن أو المعتقل بالإضافة إلى أنه مكان للمجرمين المذنبين فهذا بحد ذاته يُشعر الفلسطيني بالظلم وهو لم يرتكب ذنباً سوى أنه فلسطيني يحب وطنه ويدافع عنه، وإذا أضفنا أن الحكم مدى الحياة فثمة كل الاضطهاد والاستعباد الذي مارسه ويمارسه الكيان الصهيوني\* في فلسطين، أما في قصة "حالة أمومة " "...وهي تقبع في غرفتها الصغيرة المعزولة في مستشفى إحدى العواصم العربية"<sup>3</sup>، تصور لنا سناء شعلان معاناة هذه الأم وهي بعيدة عن رضيعها تتجرع ألم المرض والبعد في غرفة في المستشفى، وحالة اشتياقها لضم رضيعها إلى صدرها.

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار: ص 59.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 41.

\*الكيان الصهيوني أو ما يُسمونه (دولة إسرائيل) ظهر حديثاً على أراضي فلسطين التاريخية بعد عام 1948م يقع في الشرق الفلسطيني في غرب آسيا، كما أنه يحتل الضفة الغربية المحاذية للأردن (يهوداً أو السامرة في المصطلح الإسرائيلي الرسمي) مسيطر على كامل مساحة فلسطين، ذو أغلبية دينية يهودية في العالم، بعد الحرب العالمية الأولى أقرت عصبة الأمم فلسطين تحت الانتداب البريطاني من أجل إيجاد وطن قومي لليهود وفي عام 1947م أقرت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الانتدابية إلى دولتين - يهودية عربية - رغم رفض جامعة الدول العربية، ينظر، سهيلة بالعربي: شعرية المكان في المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" لسناء شعلان، مذكرة مقدمة في كلية الادب العربي، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الموسم الجامعي، 2015/2016م، ص 56.

<sup>3</sup> سناء شعلان حدث ذات جدار: ص 25.

أما عن المجموعة القصصية " تقاسيم الفلسطيني " من أماكنها المغلقة نجد " هي أكبر مقبرة تاريخية في فلسطين، عمرها أكثر من ألف عام، الوجوه الفلسطينية جميعها تنتهي في هذه المقبرة في آخر المطاف لتجع في ارض الوطن الهجعة الأبدية " <sup>1</sup> فحتى المقبرة لم تنجو من انتهاك لحرمتها بهتك سورها العتيق، والعبث بهياكل شهدائها الطاهرة فلم يكتفي الكيان الصهيوني بخرق حقوق الأحياء بل تعداها إلى الأموات أيضاً في تحدٍ صارخ لكل القوانين والأعراف.

كان للخيمة أثراً بليغاً في نفسية الفلسطيني المهجر إلى بقاع العالم وكأن ليس له وطن يلم شتاته " تسأل نفسها بتهيب وتكتم: أهنالك رحيل من جديد؟ وخيمة أخرى في انتظارها في مكان آخر؟ نوّمل نفسها بموت هادئ بعيداً عن خيمة النقي والطرده والترحيل، وتتعوذ من الشيطان الرجيم الذي يوسوس لها بالخيمة الملعونة " <sup>2</sup> فالخيمة أصبحت كالشبح يطارد العائلات، تراه في منامها كالكابوس وما إن تستيقظ حتى تجد نفسها تعيش بين جنباته وفي داخله.

حدث ذات جدار	تقاسيم الفلسطيني	
الجدار العازل العنصري القدس / فلسطين / الأزهر قطاع غزة / المدينة الساحة / الأحياء / الشوارع الضفة الغربية	الحي / القرية الفلسطينية بستان الزيتون / الساحة فلسطين / المدينة القديمة القدس / مدينة دبي الإماراتية القاهرة / الشارع / خليج زقاق / مخيم / الجدار العازل	أماكن مفتوحة
البيت / السجن / القبر الغرفة / الجامع / قاعة التدريس القرية / المسجد / المحجر	المقبرة / المعتقل المشفى / البيت	أماكن مغلقة

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني: ص 60.

<sup>2</sup>المصدر نفسه : ص 114.

تباينت الأماكن في المجموعتين بين الانفتاح والانغلاق حيث نلاحظ أن إرادة الفلسطيني في الحياة والبقاء والدفاع عن أرضه بعض الأماكن المغلقة إلى مفتوحة بفضل أمله وتطلعه للحرية واستعصاء النيل من أحلامه من طرف الاستعمار الصهيوني كما تحولت بعض الأماكن المفتوحة إلى مغلقة معتمة، بفعل العدو واضطهاده وممارسة أشكال القمع ضد هذا الشعب الأعزل إلا من إرادته وثقته وإيمانه بأن النصر قادم لا محالة وأنه سيستعيد أماكنه المقدسة وسيصلّي في قدسه الشريف.

# الفصل الثاني

الذات وبعث المكان المقدس

أولاً: تحرير الذات

ثانياً: أمومة المكان

ثالثاً: بعث المكان

## أولاً: تحرير الذات

سعى الإنسان مذ وجد للتحرر من القيود التي تعيق ذاته وإنسانيته وتُكبل إرادته التي ترنو دوماً للانعتاق والتقدم والتفوق والشعور بالوجود حيث يرى أن الحرية لازمة للحياة ولا وجود لواحدة في غياب الأخرى بل يضحي بالثانية في سبيل الأولى بلا تردد فمن أجل الحرية لا يدخر أي نوع من أنواع المقاومة والتي في معناها المطلق ليست مقصورة على شكل من أشكال العمل الوطني ولو كان الكفاح المسلح، إذ تتعدّد أساليبها بتعدّد طبيعة ملكات العمل الوطني ويشع مدلولها ويتراخى بين صمت في حينه وبين لهجة السلاح عندما يؤخذ السلاح دوره مروراً بكل الوسائل التي يمكن أن يعتمد عليها التواق للتحرر لإضعاف خصمه والتخلص منه بالقلم، بالريشة بالأزميل، بالصوت، بالعيون فهو يتمدد على أوسع مساحة من إمكانات التصرف الرفض لواقع ما من أقصى جوانب السلبية إلى أقصى جوانب الإيجابية<sup>1</sup>، ولعل من أهم رسائل الأدب في الجانب التحرري والنضالي لقضايا الأمة أن الأدباء باتوا يشعرون أن من واجبه تسجيل اهتزازات النفوس في مواجهة الأحداث الوطنية فتسابقوا إلى هذه الغاية ولكن من منطلقات مختلفة فبعضهم جاءت نصوصهم الأدبية باعثاً على الأمل وفيها عزم وروح التحدي على تحقيق إحدى الحسينين النصر أو الشهادة، كما هو الحال عند القاصة "سناء شعلان" وفي نصيها المعنيين بالدراسة حيث جاء باعثن على الأمل في أكثر من مرة وبأكثر من طريقة، وبعضهم الآخر جاء معبراً عن حالة إحباط عامة ويأس وشعور بالضعف، وجانب آخر ذهب أبعد من ذلك فأصبح يجد راحة في جلد الذات، وأحياناً جاء داعياً للانتفاضة، أملاً ومنتظراً ميلاد قائد موحد للأمة في صورة صلاح الدين الأيوبي يوحد العرب والمسلمين ويحثهم على الجهاد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> حسين محمود حسين: الشعر واليقظة العربية قبيل الانتداب البريطاني، مدخل لدراسة شعر المقاومة الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 104، 1980م، ص 121-122.

<sup>2</sup> تهاني سالم محمد أبو صالح: الشعر الفلسطيني المقاوم في القرن الواحد والعشرين، دراسة تحليلية، ماجستير لغة عربية، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، (2000 - 2015)، ص 18.

نفهم من هذا أن الأدب مرآة للواقع وتصوير لأبعاد هذا الواقع تتوير للرأي العام وتحرير لفكره، يقول "مروان الخطيب" في إحدى مقالاته "إن الأدب في ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف التي قد تنتاب النفس البشرية في لحظات الانكسار، ويرى انه ليس هناك عمل أدبي جاد في تاريخ الإنسان يخلو من سمة المقاومة لأنه لا بد أن يحتوي من وجهة ما على فكرة الصراع ولعل هذا ما يعطي أدب المقاومة وجهه الإنساني العام الذي يتعدى الأطر القومية والقوالب الاجتماعية مما يجعل الكتاب يفعلون ويكتبون عن قضايا شعوب لا ينتمون إليها"<sup>1</sup>.

لقد عني الأدب بالتححرر والمقاومة حيث نشأ من سمات عربية ترفض الذل والهوان وتسعى للجد والإقدام ونيل الفراسة في بلاد وقعت فريسة للعدوان وقربان لخيانة قسدية، "إن قضية فلسطين ليست مجرد مشكلة قومية، على الصعيد العربي، أو أنها مشكلة اجتماعية، بالنسبة لأبناء فلسطين، وإنما هي مأساة إنسانية عامة، هي مأساة العنصرية، أكبر وصمة عرفها التاريخ الحديث، لذلك نتصور فلسطين دائماً نبعاً لا ينضب من الأفكار والتجارب"<sup>2</sup>.

كان للنزعة التحررية حضور كبير في المجموعتين القصصيتين وانطلاقاً من تقاسيم نلمس البعد التحرري فبداية وكما ترى " ميسون حنا" في مقال لها بعنوان "حكايا المعاناة والصمود" تفنن الكاتبة في رسم بشاعة الوحشية الصهيونية، والتبريرات الصهيونية الواهية، حيث يقول الأب المدنس بالقتل لطفلة عما اقترفه من جرائم بأنهم قُتلوا في المحرقة في ألمانيا ويجب أن ينتقموا من العالم بأسره وهو ما تبرره زوجته باعتبار اليهود مستضعفين وعليهم حماية أنفسهم...! ومع تصاعد الهمجية الصهيونية والبطش اللامتناهي تبين الكاتبة بكل احترافية وبنزعة تفاؤلية وبعد نضر أن رحم المرأة الفلسطينية معجزة لأنه لا يتوقف عن إنجاب أبطال وثور المستقبل وعدد من يولدون أكثر من اللذين يستشهدون وفي ذلك إشارة

<sup>1</sup>مروان الخطيب: الشعر المقاوم شرفه أن يقض مضاجع الخصم، مجلة " بلسم"، عدد 351، لبنان، 2004، ص 90.

<sup>2</sup>غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين، دار الشروق، القاهرة وبيروت، 1991م. ط 1، ص 81.

لاستمرار الثورة والمقاومة حتى التحرر والنصر الموعود، هذه المعجزة التي شهدتها الطبيب القادم من السويد والذي عاينها بأم عينه وما عاد يطيق إخفائها أو الكفر بها "بطون النساء الفلسطينيات كلها أكن صبايا أو في منتصف الشباب أم شرخه تُعج بتوائم أربعة أو خمسة أو ستة حتى النساء اللواتي لم يتزوجن أو لم يمسهن بشر أو العواقر تحركت أرحامهن بالأجنة المعلنة وجودها بحركات عنيفة صارخة"<sup>1</sup>، ومن انتهاكات الصهاينة عرجت الكاتبة عن انتهاك حرمة أكبر مقبرة تاريخية في فلسطين، حيث جُرفت هي وغيرها بهدف بناء أكبر مستندرة ضمن حركات الاستيطان الصهيوني\*، وتبعثرت هياكلها العظمية الراقدة منذ أكثر من ألف عام "استيقظت الهياكل العظمية ولبست أكفانها وهاجمت أعداءها"<sup>2</sup> فالكاتبة لم تستثني في عملية الكفاح والتحرر لا حجر ولا شجر ولا حتى هياكل لشهداء والذين لا يدافعون عن الأرض والعرض فقط وهم بل حتى بعد ان ماتوا وسكنوا التراب وان كان الشهيد لا يموت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾<sup>3</sup>.

وفي قصة "زهايمر" إشارة إلى كفاح بطلها أكثر من نصف قرن دون كلل أو ملل لا يثنيه عن الدفاع عن أرضه شيء لكن قلبه يعتصر ألماً بسبب مرض الزهايمر الذي قد يهزم إرادته فينسى قضيته وحدود أرضه، كما تشير الكاتبة هنا إلى موقف الوطن العربي الذي يبدو أن المرض قد تفشى فيه لينسى شعباً يعاني ويلات الاحتلال والتهجير في ظل صمت عام رهيب "ستون سنة من النضال المستمر لم تستطع أن تزحزحه قيد أنملة عن إيمانه العميق بحقه، لم تمضي ليلة لم يناضل فيها متمسكاً بأرضه، لم يفتّ في عضد عزيمته تأمر

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 19.

<sup>2</sup>الاستيطان الصهيوني: هو مصطلح يستخدم للإشارة إلى حركة استيطان استعماري يهودي في ظل دولة إسرائيل ويشير إلى النشاط العمراني وانشاء تجمعات سكانية يهودية حديثة على أراضي فلسطين المحتلة، بالإضافة إلى ممارسات المستوطنين والدولة فيما يتعلق بالسيطرة على الأراضي، أو نقل للسكان أو التحكم بقدرتهم على الحركة في محاولة لتشتيت السكان الأصليين وإضعافهم، ينظر الموقع الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948، /news/ palinfo.com

2008/2/9 اطلع عليه في 28، ماي، 2021، 11: 12.

<sup>3</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 61.

<sup>3</sup>سورة آل عمران الآية: 169.

العالم كله مع عدوّه الصهيوني، أما هذا المرض اللعين الذي اسمه (الزهايمر) فهو ما يخشى أن يأكل ذاكرته فلا يتذكر حدود أرضه ومساحتها... هل (زهايمر) هو مرض صهيوني؟ سوف يأكل ذاكرته كما أكل من قبل ذاكرة الكثير من البشر؟!<sup>1</sup>.

مثال للتحرر لا يقلّ أهمية ولا يجوز تجاوزه عبر موقف يجدر بنا الإشارة إليه وهو لبطة قصة "عانس" فهذا اللقب يبدو أنه لا يخيفها فهي التي رفضت الزواج من شخص تحبّه حتى لا تفقد الحق في الإقامة في مدينتها القدس الشريف حيث ضحت بحبها له، إذ أن البطة حرّرت ذاتها من الأناية وقمعت رغبتها في سبيل وطنها ومدينتها المقدسة فحبها لمدينتها طغى على حبها الآدمي. وفي ذلك قمة التحرر والإعتاق لأنّها ذات تؤمن بأن التحرر من الاستعمار يبدأ من التضحية وإنكار الذات وتحريرها من رغباتها وإن كانت مشروعة في سبيل الجماعة والقضية "...كان عليها أن تخاطر بهوية إقامتها الدائمة التي تسمح لها بالإقامة في المدينة، فالقيود التي يفرضها الصهاينة على عرب مدينة القدس تجعلهم يعيشون في سجن كبير إن خرجوا منه لا يمكنهم العودة إليه، وإن أحب أحدهم آخر خارج المدينة في الضفة الغربية أو خارج فلسطين فهذا يعني أن يخسر للأبد هويته الدائمة في القدس... لكنها ضحت بحبها له كي تطير عائدة إلى مدينة القدس... لا أحد استطاع أن يسرقها من حبها لمدينة القدس"<sup>2</sup> وتتشابه المواقف إذا تعلق الأمر بالانتماء والأرض فما بطلا "قصة حب" يضحيان هما أيضا حيث "قررا في لحظة عشق كاملة أن يمضيا في درب عشقهما الأكبر بحزامين ناسفين... وتناثرا هباء مقدساً فوق أرضهما التي ماتا عشقاً لها"<sup>3</sup> رداً على طغيان الصهاينة الذين صادروا أرضهما وجرفوها لبناء مزيد من المستوطنات.

والأمر لا يختلف إذا عرجنا على المجموعة القصصية الثانية "حدث ذات جدار" فقصصها تكرر وحشية هذا الجدار الذي تتدد به "شعلان" حيث وظفته لإيصال رسائل

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 38.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 51.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص 53.

مشفرة طافحة بالواقعية الدرامية المتأزمة عن الإنسان الفلسطيني ومجتمعه الذي يعج بالمعاناة والقتل والتشريد والعنف والظلم بكل أشكاله دون مراعاة لأي قانون أو عرف دولي والنكبات المتوالية وتلك النكسات المتكررة بكل مآسيها والتي وجد الإنسان الفلسطيني نفسه حيالها يواجه العنف الإسرائيلي بكل بشاعته بصدر عاري بمفرده وبوسائل بسيطة ولكنها تعكس العزة والكرامة والشجاعة التي تتجسد في هذا الفلسطيني الذي لا يستسلم أبداً ويجابه أبشع مستنمر مستعملا في ذلك كل ما لديه حتى بالموت في أرضه والتي يرى فيها كل الحياة.

ومن نماذج التحرير نجد قصة " المقبرة " فعلى الرغم من فقدان الأم لأبنائها الثلاثة إلا أنها بقيت صامدة ولم تبكيهم بل كانت دائماً تفخر بأن يناديها الجميع "أم الشهداء" لكن هذا الصبر الجبار لم يدم طويلاً حين تعلق الأمر بأشجار الزيتون أين وجدت الصهاينة وهم يقتلعون أشجار الزيتون التي كانت عند قبور الأبناء، من اجل بناء الجدار العازل وجدت نفسها " شعناء غبراء دون غطاء رأسها الأبيض ودون بيتها أو بستانها أو زيتوناتها الوفيرة، أو دون قريتها كاملة"<sup>1</sup> أين شق الجدار اللعين قريتها إلى نصفين مفرقاً بينها وبين رفات أبنائها محاطاً بالأسلاك الشائكة والبنادق من كل جهة لتقرر المقاومة بفأسها وفي حالة متأججة بالغضب تهوي على الجدار " المقبرة هي آخر ما تبقى لها من عالمها المتواري قهراً خلف الجدار وهي هنا وحيدة لا تملك سوى شجاعتها وإصرارها على البقاء...تحقق في فأسها العتيد المخلوع جانباً ، تنقرس مقبضه الخشبي الموشى يمزق جلد يديها، تتأبطه، وتحكم ربط غطاء رأسها، وتحزّمه بأطراف ثوبها وتخطو أول خطواتها نحو الجدار، خطواتها ثابتة وسريعة تقصد أن تنهال بفأسها على الجدار تحطيماً وتهشيماً"<sup>2</sup>.

نجد في قصة "الغروب لا يأتي سراً " وعن ذات المجموعة صورة تلك المرأة المليئة بالأنفة والشموخ وهي تحاول عبور البوابة إلى منطقة سكنها برفقة ستة أطفال تحمل في

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 22.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 23.

بطنها أماً لهم، وكعادة الصهاينة يتفنون في منعها من العبور وذلك بطرق شتى وهي صامدة متحدية حيث " كان يتوقع أن ترضح لذلّه، أن تتضرع له من أجل العبور، ولكنها لم تفعل ذلك بل تفلت في وجهه غير أبهة بجبروته، وجمعت أبنائها على عجل وأدارت ظهرها لتعود بهم من حيث أنت اشتعلت نيران الغضب في صدره الصدى، وأطلق حشداً من رصاصات...خرقت جسدها وأجساد بنيتها في لحظات...غربت الشمس..وبقيت عينا تلك المرأة تشخصان نحو السماء وترفضان أن تُغلّقا، وتتوعدان بالانتقام هكذا فهم نظراتها"<sup>1</sup> لا تقوت الكاتبة الفرصة لتظهر المحتل الصهيوني في صورته الحقيقية فرغم سطوته وتجبره على الضعفاء يبقى يرتعد خوفاً من جثة امرأة فلسطينية ملقاة على ارض وطنها.

وفي قصة "عندما لا يأتي العيد" كان في اختيار العيد والأضحى دون غيره من الأعياد دلالة على ولادة جديدة، وانتهاء الوجد السرمدي بوجود أضحية تقدم ليأتي منها الخلاص، لقد اختارت القاصة شخصية (أبو هادي) وهي شخصية تعاني من صعوبات في النطق والسمع، وكأنها تشير من طرف خفي إلى الحكومات العربية التي تعجز عن تقديم المساعدات للشعب الفلسطيني، وتكتفي بالإشارات والإيماءات"<sup>2</sup>.

ورغم عجزه أنضم أخيراً إلى فصائل المقاومة الفلسطينية\*، ببساطة لأنه كان يرى "هذا الوطن ملك لابنه ولأبناء الفلسطينيين لا لأبنائهم الغرياء، ابنه هادي وأبناء الفلسطينيين عليهم أن يكبروا هنا، وأن يسعدوا هنا، وان يدفنوا هنا بعد أن يموتوا.أما الغرياء فلا مكان لهم في

<sup>1</sup>المصدر السابق: ص 36.

<sup>2</sup>ضياء غني العبودي: الجسد والعنونة في عالم سناء شعلان القصصي، دار الحامد للنشر والتوزيع، دب، دط، ص 113.  
\*المقاومة الفلسطينية: مصطلح يشير إلى الحراك والسياسات والدعوات والعمليات التي تدعو أو تدعم مقاومة الاحتلال والاضطهاد والاستعمار الصهيوني للفلسطينيين والأرض الفلسطينية وتسعى لرفعه، يستخدم المصطلح لوصف تحركات فلسطينية متنوعة تتراوح بين المقاومة المدنية، الشعبية المسلحة كما يستخدم للإشارة إلى الفترة بين بدء الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1918م وحتى اليوم من أبرزها ثورة 1936م وإعلان الإضراب العام وبعد عام 1948م بدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي، وبدأت تستخدم مصطلح الكفاح المسلح للإشارة إلى أشكال المقاومة المسلحة كما يستخدم هذا المصطلح على مستوى دولي وفي الخطاب الفلسطيني من قبل منظمة التحرير الفلسطينية.ينظر موقع، ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع، 20/03/2021م، 21: 10.

هذه الأرض ولذلك عليه أن يبذل النفيس والغالي من عمره ونضاله وصحته كي يهب لابنه مستقبلاً محرراً وعادلاً دون شبح شيطاني اسمه الاحتلال الصهيوني<sup>1</sup>، من الطبيعي أن يلقي انضمام هذه الشخصية للعمل النضالي بعض التردد من طرف الكتائب المسلحة الفلسطينية فقد كان في نضهم رجل أشبه بالعاجز يعاني من الصمم وعدم القدرة على التواصل ولهذا وضعوه في بعض الاختبارات للتأكد من جدوى تجنيده ليكتشفوا انه مثل كل الفلسطينيين رمزٌ للشجاعة والإصرار والإقدام والاهم في السرية لهذا عهدوا له بالمهمات الصعبة ولم يكن يخيب آمالهم، كان أمه كبير في تحرر وطنه من براثن المحتلين، وكان يرى هب ابنه امتداداً له ولكفاحه لذا فقد عمد بنقل أخبار انتصاراته واحدة تلو الأخرى لابنه وفي احد الأيام وكان عيداً وأثناء الصلاة سمع رغم صممه صوت انفجار قوي لينطلق مسرعاً بحثاً عن ابنه الذي " لم يطل بحثه عن هادي بين الأشلاء المتناثرة، فقد وجد رأسه المتفحم متدحرجاً قرب الأرجوحة القتيلة، ولم يميزه إلا من عينيه الزرقاوين.....في تلك الليلة لم يبك ولم ينح موت هادي، فهادي لا يموت وإن سُجى في القبر برأس أو بدون رأس فمثله يجب أن يظل حياً في نفس والده...يستمر في النضال حتى يحرر وطنه"<sup>2</sup>ومن رموز الدفاع والتصدي نجد خرافة أبو عرب وهي تحكي قصة الفدائي الفلسطيني الذي يعتبر واحد من أبطال الكفاح في الأراضي المحتلة " قبل النكسة، طوال عمره وهو فدائي يحمل سلاحه، ويهيم في الجبال، ويقاوم الصهاينة، كان رأسه مطلوباً دائماً للجيش الصهيوني، ولكن أحداً لم يستطع يوماً أن يقبض عليه"<sup>3</sup> قام الاحتلال الغاشم بأسر هذا المناضل وحين خرج منه نفي خارج وطنه وذلك لعلم الاحتلال أن أسوأ أنواع عقاب يتلقاه الفلسطيني هو النفي والتهجير والذي يبقى قلبه معلقاً به حتى يحط الرحال في جنباته، إن النهاية المأساوية لأبي عرب حين " داسته سيارة مجهولة في ليلة باردة، وتركته جثة هامدة تهبّ دمها...على قارعة الطريق " هي إشارة

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 48.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 51.

<sup>3</sup>المصدر نفسه: ص 92.

إلى النهاية المأساوية للنضال الفلسطيني، الذي لم يحقق شيئاً واكتفى من جاء بعد هؤلاء بأن يقتنعوا بفتات الطعام كمساعدات، لذا لم ترضى الكاتبة لهذه البطولة أن تنتهي بنهاية لا تليق بالنضال الفلسطيني، فلجأت إلى الخرافة والخيال لتعوض الواقع<sup>1</sup>، حيث أوكلت مهمة إيجاد نهاية مناسبة لهذه الشخصية البطلة للجدة عبر حكايتها " لا يمكن أن تأكل الأرض جسده..بل هو محرم على الأرض...لم يمت، ولكنه عاد متسللاً إلى فلسطين، وأستشهد هناك في عملية فدائية بطولية، ودفن في مكان في أعالي جبل الشمال الفلسطيني وفي كل ليلة تخرج روحه وتحمل السلاح وتقاتل، وسيظل كذلك حتى يُبعث يوم القيامة حاملاً سلاحه وروحه مردداً، الله أكبر فلسطين حرة عربية"<sup>2</sup> إن فكرة تحوير نهاية الحكاية تدخل في شذوذهم حتى لا يدب اليأس في نفوس الناشئة والتي ترى في أبو عرب مثلاً يحتذى في رفض الظلم والطغيان.

ندرك الآن أن المجموعتين القصصيتين ترنوان في كل تفاصيلها لتسليط الضوء على الكفاح الفلسطيني ودعوة للإنعتاق من قيود الاحتلال بكل وسيلة سواء كان ذلك بالسلاح أو رفض الاستسلام أو بتحرير الذات والتضحية وحتى بالموت، هي صرخة جديدة في وجه الطغيان الصهيوني الذي يجابهه الإنسان الفلسطيني الشريف الحر لتحقيق حلمه المقدس بتحرير وطنه؛ فكلا المجموعتان القصصيتان تقدم شكلاً قصصياً يعتمد على الخلط بين الشكل القصصي التقليدي والأشكال الحداثية الجديدة وخاصة منها قصة الومضة والقصة القصيرة جداً بأسلوب سلس يلج القلوب عبر نقل المتلقي إلى عالم النضال الفلسطيني بكل ما فيها من خصوصية وإصرار وكبرياء.

<sup>1</sup> ضياء غني العبودي: الجسد والعنونة في عالم سناء شعلان القصصي، ص 117.

<sup>2</sup> سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 49.

## ثانياً: أمومة المكان

المكان متجذر في أعماق الإنسان مرتبط به أشد الارتباط حتى التماهي والامتزاج أحياناً، يرى فيه جذوره وامتداده ويتعلق به تعلقه بأمه، حتى أن البعض لا يستطيع التأقلم خارج المكان، فهو ظاهرة نفسية واجتماعية وبذلك يبدوا الارتباط والاتصال به أمر لا نقاش فيه، وبالتالي فالتوحد معه حتمية نفسية لا مجال للمراهنة عليها، فالمكان الأول يحمل حميمية لا حدود لها، بحيث هو الذي حمل الإنسان منذ طفولته، أين تبادل فيه العواطف والمحبة وتلقى فيه مبادئه الأولى لحب هذا المكان، فرغم قدم الأحداث وتوالي الزمن وتغير المكان الأول، إلا أن الاتصال به نفسياً لا تشوبه شائبة، بحيث يبقى ذلك الارتباط متواصلاً وإن بقي منه خيط رقيق فهو "ضرورة ملحة تتجاوز كثيراً من الضروريات الحياتية، لأنها أشد ارتباطاً بالوجود وبمعنى الوجود، كما ترتبط بمعاني كالأستقرار والأمن والأمومة والتجذر فيرتسم كل ذلك في خيال الإنسان ووجدانه ويصبح مشحوناً بطاقة دلالية ورمزية ثقافية ودينية تُكيف وجوده وسلوكه"<sup>1</sup> وانطلاقاً من الرؤية يعتبر الإنسان والمكان لازمة، يرى كل واحد منهما نفسه في الآخر فالأول بدون الثاني ضائع تائه فاقداً للبوصلية، والثاني في غياب الأول مجرد ظل لا يجد من يبكي عليه ولعل دلالة المكان تطفح بإيحائها، وتثبيت كينونتها من خلال الاتصال الرمزي بينها وبين ساكنيها، حيث يحفر المكان في أغوار الذات مسارات عميقة، فتظهر سطوته وسيطرته في العمل الأدبي ومما يزيد من وجدانية المكان علاقة "البطل" به فيلتحم الذاتي بالموضوعي كعلاقة الأم بمولودها ليغدو المكان أسطورة زمكانية تشهد عليها أفعال الشخصيات "لأن الحفريات المكانية في الشخصية تسهم في تحديد الملامح العامة والمختلفة لها"<sup>2</sup>، إن هذا التفاعل المرتبط بين الشخصية والمكان، يثبت دلالاته

<sup>1</sup> عبد الله شطاح: شعرية المكان في الرواية الجزائرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الأدبي الحديث والمعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، ص 99.

<sup>2</sup> عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص القصصي الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2001م، ص 150.

الرمزية التي تخرج من الإطار المألوف لتحول المكان إلى نسق رمزي له دلالاته التعبيرية الخاصة فيخرج من محدوديته وثباته إلى مكان يعبر عن تفاعل الذاتي بالموضوعي إن حس المكان " حس عميق وأصيل في الوجدان البشري، الذي يمثل حالة الارتباط البدئي المشيمي، رحم الأرض \_ الأم \_ ويرتبط بهناءات الطفولة، وصبابات الصبا، ويزداد هذا الحس شحذاً إذا ما تعرض المكان للفقْد أو الضياع، وأكثر ما يشحذ هذا الحس هو الكتابة عن الوطن في المنفى <sup>1</sup> نفهم من هذا التوصيف عمق تجذّر الأمكنة في قلب الإنسان خاصة تلك التي تأنس النفس بها وترتاح إليها وتحمل في طياتها ذكريات جميلة مضت تتوق النفس لعودتها لتبقى حلماً غائراً في أعماق الذات، لذا لا نتفاجئ من الحضور الطاغي للمكان في كل سطر نقرأه من النص الأدبي ومن هنا يمكننا القول أن "المكان يرتقي على مصاف القيم الإنسانية الكبرى حيث يحل محل النبوات التي يلتف حولها البشر ويعطونها من أنفسهم ووجودهم ما يشغلهم عن تمزق الحيرة والشك والضياع القصد، يصير منطق وجود وسبيل حياة، يلتبس بمعنى الوطن والأمومة والقداسة"<sup>2</sup>.

في الحديث عن أمومة المكان كان لا بد من الولوج إلى المكان الألفة وهو الذي تتسجم معه الشخصية وتأنس به بما يحمل من معاني الحب والحنان والحماية والاستقرار والتي غالباً ما نجدها في البيت أين توجد الأم حيث يتسم البعد الرمزي للبيت في صورته الأولية المباشرة " بقدرته على إحالتنا إلى حالة الألفة والحميمية التي تتشكل بواسطته فعل الإقامة والاستقرار داخله، فالبيت ليس كياناً مكانياً مكوناً من أبعاد فيزيائية تحتوي العديد من الجدران أو الأثاث أو النور والإضاءة، إن البيت علاوة على ذلك لا يكف عن الإشارة المستمرة إلى ساكنيه ومظاهر ألفتهم معه<sup>3</sup> وارتباطهم به فعادةً ما يختار الكاتب البيت السكن ليعبر عن

<sup>1</sup> إعتد العثمان: إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 6.

<sup>2</sup> عبد الله شطاح: شعرية المكان في الرواية الجزائرية، ص 125.

<sup>3</sup> محمد مصطفى على حسانين: استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، رواية "السفينة" لجبرا إبراهيم جبرا، انموذجاً، www.kotobarabia.com، ص173.

المشاعر التي يشعر بها أفراد هذا البيت تجاهه واتجاه بعضهم، وهو ما نلمسه في مجموعتنا القصصيتين حيث ورد البيت إما ملجئاً أو حنيناً أو حلمياً بعيداً المنال في حالة المنفى، ولذا فإنك كما يرى "رينيه ويلك واستون وارين (Rene Wellek)" في كتاب نظرية الأدب "إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيها"<sup>1</sup>، وتبقى للفضة البيت وقع خاص في خاطر الإنسان وهو ماكنٌ مقيم فيه، لكن وكما سبق الذكر فمظاهر الألفة والحميمية مع البيت أخذت نحو مغايراً في المجموعتين القصصيتين خاصة تقاسيم الفلسطيني" والتي دارت جل أحداثها في الشتات والمنفى إذ طول السفر وضروب الابتعاد "تخلق نوعاً من الألفة المفقودة والحميمية المستلبة فوعي الإنسان بالبيت يتكون لا من خلال الإقامة فيه، أو حالة الاستقرار والطمأنينة المتولدة من ضروب التراسل والتفاعل معه، بل على النقيض من ذلك إذ يصبح الوعي مشدوداً دوماً لحالة العودة والاستقرار داخل هذا الفضاء الحميمي، فلم يعد البيت مكاناً لتوليد الأحلام بل أصبح في ذاته حلماً يراود الوعي المتشوق إليه"<sup>2</sup>.

في خضم كل هذه الحميمية والألفة الطاغية لا يمكن أن نغفل بأن هذا النوع من الأمكنة يرتبط بشكل أولي ورئيسي بالمرأة / الأنثى التي تنتشر سطوتها الرقيقة عليه وبعدها الأسطوري، في كل جنباته في دلالة على الخصب والنماء والديمومة والاستمرارية لذا " ترتبط رمزية المرأة بالأرض على نحو وطيء فقد كانت سيادة المجتمع الأمومي والتي تمثل فيه الأم الكبرى المركز، نروة النماء والإخصاب، حيث الفردوس الأرضي في اكتماله، ومن ثمة ارتبطت الأنثى دوماً في الوعي الإنساني بالمكان الحميم حيث الدفاء والأمان، فالبيت لا يكتسب بعده الحامي للإنسان إلا من خلال الملامح الأمومية وهذا البعد الأنثوي للمكان

<sup>1</sup>رينيه ويلك واستون وارين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والعلوم الاجتماعية، دمشق، سوريا، 1972م، دط، ص 288.

<sup>2</sup>محمد مصطفى على حسائين: استعادة المكان، ص 173.

نجده في كثير من التصورات الصوفية<sup>1</sup> أين ترتقي بالمكان وذلك بتأنيته حيث تسموا عواطف المحبة الإخلاص وخلافه ليس ذي أهمية وهنا يمكن أن نأخذ قول ابن عربي "المكان إذا لم يؤنث لا يعول عليه"<sup>2</sup> فتصبح والحال هذه رمزية المكان/ الأرض لا تتشكل دلالاته المعبرة عن الألفة والحميمية، إلا عبر موضع المرأة داخله، وذلك باعتبار دلالة المرأة على الحب ولا نقصد الحب كذروة فقط كذروة الحياة، والاندماج الفيزيائي بين اللحم والواقع، بل الحب كأسطورة تحفز الإنسان لمحاصرة المجهول والبعيد، نلاحظ أن الكاتبة تتجاوز النظرة السطحية التي ترى فيها خروجاً عن المعتقد الذي يتبوتق حول المرأة، فجسدها ليس مسكناً للروح أو حاملها، بل هو علامة تتكلم، تتحرك، تشارك، تتفاعل، وتدافع عن هويتها"<sup>3</sup>.

وكمثال على هذا التوجه في توصيف المكان نجد غايتنا في قصة "عرض" التي يقدر بطلها شرفه وأرضه ويرى فيهما عزه ونخوته والتي لا تسمح له بأي حال من الأحوال التنازل عنهما فهما عنده غير قابلين للتجزؤ أو التخاذل، فهو يخشى على عرض نساءه فيقرر الفرار بهن دون أن يتنازل عن شرف أرضه المستباح من عدوٍ لا يعرف الحدود حتى يقف عندها " قرر أن ينجو بعرض زوجته وبناته وحفيداته وزوجات أبنائه حملهن جميعاً على عجل، وقرر أن يطير بهنّ بعيداً عن أيدي الغاصبين، أما أولاده الذكور الخمسة وبنينهم فقد تركهم يدافعون عن أرضهم في وجه من يريد أن يهتك عرضها، ترك زوجته وبناته أمانة... وقرر أن يعود ليحمي عرضه الأرض"<sup>4</sup>.

لكن المكان في رحلة ارتقائه في خاطر الإنسان يرتفع أكثر من هذا حتى أنه يصبح في عديد المرات بمثابة الأم التي لا يرتاح المرء إلا في حضنها يشعر بدفئها ونبض قلبها

<sup>1</sup>المرجع السابق: ص 115.

<sup>2</sup>ابن عربي: الطريق إلى الله، جمع وتأليف: محمود محمد الغراب، مطبعة نصر، دمشق، سوريا، ط2، 1986م، ص139.

<sup>3</sup>بدر شريط: سيميائية الجسد (الجسد والهامش في الرواية الجزائرية المعاصرة) مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، منشورات كراس، وهران، الجزائر، 2016، ص 18.

<sup>4</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 66.

المليء بالتضحية والإيثار، أين يعيش الإنسان من جديد رحلته الرحمية مع هذه الأم (الأرض) "لم يعرف الجنين الصغير المنزلق من حنان سادر في رحم أمه لم شق سكين حاد غلالته الفضية الشفافة بعد أن بقر بطن أمه، فانزلق خارج رحمها الدبق الدافئ مشهوداً عارياً...انكفاً أرضاً على وجهه. سجد كمن يقبل الأرض كانت أمه تفارق الأرض بزفريات متسارعة بعد أن قطع جندي صهيوني متوحش ثديها الأيمن بضربة جديدة من سكينه الوحش، ثم بقر بطنها لينتزع جنينها من مكين أحشائها...ظلت جبهته تلامس الأرض وقفاه العاري الصغير يتحدى وجه قاتل أمه"<sup>1</sup> لقد خرج الرضيع عنوة من رحم أمه البيولوجية لدخل رحم أم ثانية وهي الأرض والتي هي أحن عليه بكل تأكيد من بني صهيون. أما قصة "حالة خاصة" فتجسد هذه العلاقة حين تُستبدل الكلمة الأولى من "ماما" إلى "فلسطين" من فم فتى يعاني عدة إعاقات متعددة والذي "لطالما تمنى أمه أن تسمعه ينطق كلمة واحدة في حياته، وطوفت به على الأطباء والمستشفيات المتاحة... سقف بيته وقع على رأسه جراء القصف...عثرت أمه عليه منزوياً في سرير ملطخ بالموت في إحدى المستشفيات المدينة، حضنته وقبلته وركزت رأسه بصدرها الفائض بالحزن والقلق ابتسم لها، ونطق كلمة واحدة لا غير: فلسطين."<sup>2</sup> فهذا الفتى اختزل جميع الكلام الذي لم ينطق به في حياته في كلمة واحدة تشبه حضن الأم ودفئ الأم فلا فرق عنده بين أن يقول أمي أو وطني.

"شجرة" قصة حب وتماهي وألفة منقطعة النظير بين "الحاجة فريدة" وشجرة الزيتون التي لم تكن مجرد شجرة بل هي رمز الحميمية والوفاء والارتباط القوي من خلال المشاعر التي تغمر كليهما ومحاولتهما حماية بعضهما البعض لدرجة التضحية فلحظة الحضن التي جمعت الحاجة وشجرتها تشبه إلى حد بعيد حضن الأم لرضيعها الصغير وهي ترضعه أو تحميه من برد الشتاء أو أي خطر يتبادر إلى ذهن الأم الحنون "الجرافات المدرعة الصهيونية هاجمت على حين غرة أشجار الزيتون في حقل الحاجة (فريزة) التي هرولت إليها

<sup>1</sup>المصدر السابق، ص 26.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 32-33.

على الرغم من كبر سنها وغطتها بملاءة رأسها، وأخذتها إلى حضنها، وشدتها إلى عظامها حتى كادت تنغرز فيها... لقد كانت مذبحاً للأشجار الشهيدة التي تهوي أرضاً... إلا أن هذه الشجرة قد رفضت أن تغتال، انبلج ساقها عن مرقد في داخلها ابتلعت الحاجة (فريزة) وعصبت أعالي أغصانها بطرحتها البيضاء، وانبرت تدوس الجرافات بجذورها العملاقة التي شعلتها من أعماق تراب الأرض<sup>1</sup> لقد امتزجت إرادة هذه العجوز مع الشجرة العجوز في تحدٍ صارخ للعدو ورفضاً للاستسلام، فالحب العملاق الذي جمعهما لا يضاويه إلا حب الأم لابنها في إشارة لعشق الفلسطيني لأرضه ومقدساته.

وبالحديث عن الأم تأتي قصة "عيد الأم" حيث الفتاة التي اعتادت أن تهدي والدتها هدية في عيد الأم زهرة ترتمي في حضنها لتتعم بحنانها وعطفها، لكن الاحتلال الصهيوني الظالم كعادته فرق بينها وبين أمها عن طريق قذيفة غاشمة معتدية لتفقدتها إلى الأبد، لم تستسلم الفتاة لهذا الفراق ورفضت أن تغير عاداتها "قررت أن تهدي أمها زهرة عيدها، وأن ترتمي في حضنها رغم أنف الموت، رسمت بقطعة جير أبيض دائرة كبيرة على أمها الأرض، وهي دائرة بحجم حضن الأم أمها الآدمية، واستلقت في حضنها وتكورت أرضاً كما الجنين، وطفقت تشم رائحة أمها المضمخة برائحة البرتقال."<sup>2</sup> لقد عوضت أرض فلسطين حضن الأم لهذه الفتاة حين امتزجت رائحة أمها برائحة البرتقال في اتحاد يسمو بمشاعر الأمومة إلى أقصى درجاتها، لم يكن الفلسطيني يشعر بطعم الحياة بعيداً عن أرضه والتي تسكن روحه ويتمنى العيش فيها وإن لم يستطع فالموت داخل أسوارها وهو حال بطلة قصتنا والمعنونة بالموت أين كان حلمها الوحيد الغير قابل للتبديل أو النقاش هو الموت في أرض فلسطين "ظلت تقول جملتها الشهيرة (كل شيء في فلسطين أجمل) وعندما مرضت أقسمت على أبنائها وحفدتها وأنسابها أن ينقلوها لتموت في أرض فلسطين قائلة: الموت في فلسطين أجمل، وعندما خاضت باستسلام سكرات الموت أوصت الجميع بأن يدفنوها في

<sup>1</sup>المصدر السابق، ص 40 - 41.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 55.

أرض فلسطين قائلة بثقة من رأي اليقين في لحظات النزح (الأرض في فلسطين أحن على أجساد أهلها)<sup>1</sup> أرادت الكاتبة أن توضح العلاقة بين الفلسطينيين وأرضهم المحتلة عبر هذه العجوز أين استعارت صفة الحنو الخاص بالأم وأسقطتها على أرض فلسطين باعتبارها أم ثانية، ويتكرر المثال ويتكرر الشعور من جديد عبر معاناة امرأة تعاني المرض في المستشفى بعيداً عن صغيرها حيث " كانت تحلم بأن تعود إلى بيتها بعد طول غياب كي تضم صغيرها إلى صدرها الذي فقد ثديه الأيسر قرباناً للمرض، لتشمه وتغيب معه في احتضان طويل دافئ يخفف برد حرمانها منه، وما كانت تعلم أنها ستجد وطنها قد سرق من جديد، أن بيتها قد أصبح محض ذكرى سرابية بائدة... وها هي قد أصبحت لاجئة في وطنها... غادرت المكان وهي تخلع وهي تخلع قدميها المرة تلوى الأخرى من الأرض التي يصعب عليها أن تغادرها"<sup>2</sup> لقد امتزجت مشاعر الأمومة البيولوجية بأمومة الأرض في صورة تذيب الحجر، فالسيدة عاشت حالة غربة وبعد عن رضيعها وعن بلدها، ولم تستطع أن تمارس أمومتها ولا العيش في كنف عائلتها واستنشاق تراب أرضها، لقد فتت شوقها لبلدها ورضيعها قلبها وجعلها في نهاية المطاف تتحدى كل العراقيل لتعبر الجدار عائدة إليهما رغم الحصار، لكن جثة هامة هذه المرة.

نخلص مما سبق أن الأرض في فلسطين تأخذ مكانتها في قلب كل شخص المجموعتين القصصيتين من مكانة الأم وقدسيتها، فالحنين إليها يسكن الروح والقلب، ولا مجال للتخلي عنها أو الابتعاد ولو قسراً ولا بد من العودة إليها حتى وإن كان ميت، فأن يدفن الفلسطيني في أرضه يعني عودته إلى رحم أمه.

<sup>1</sup>المصدر السابق، ص 121.

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص 25-26-28.

## ثالثاً: بعث المكان

يرتقي المكان بعد الهدم إلى موضع قابل لإعادة التشكيل جمالياً، فكلما، ازداد الخوف لدى الوعي الفني الإبداعي قابله ذلك بتأسيس رؤية جمالية، فيها إحياء وبعث للذات والجماعة ومكونات المكان، فإذا كان الطلل مدخل للخراب الذي أتى على كل شيء، فالمبدع لا يتقبل ما طفى على ذلك السطح من تغيرات، الأمر الذي يدفعه إلى خوض تجربة أدبية مختلفة يشق من خلالها مواطن الدمار والفناء، ليعيد تشكيلها وبعثها من جديد، لقد أدى المكان دوراً بارزاً في الخطاب السردي، لما يحتويه من أثاث وديكور ورسم فهي جزئيات دقيقة تؤسس المكان وتجمع شتاته وتضفي عليه طابعاً جمالياً تزيينياً، غير أن المكان هنا ليس فقط محددات جغرافية تقاس بالخرائط والرسومات وإنما ما يتلون به الخطاب وما يتحرك فيه، يبني بالكلمات ويرسم بالحروف والأصوات.

إن الكاتبة ترسم تلك الأماكن وتحدها ليس من أجل الذكر فقط، وإنما لتذكر الآخرين بأنها موجودة، فما استدعاؤها لها إلا لتبقيها لمن ادعى أن هذه الديار والأماكن قد فقدت ملاكها الأصليين، فالقاصة في موقف للدفاع عنها والتأكيد على أنه لن يُفرد فيها بأي حال من الأحوال، كما أن المجموعتين القصصيتين في الأساس محاولة لاستعادة المكان فنياً، بعد أن ضاع جغرافياً، وإعادة بعث المكان بشكل وجداني في عقول القراء بعد إن اختفى عن عيونهم بسبب بعد المكان على الأرض، وهنا يعوض مبدأ هذا الإحساس بالفقد بصور مختلفة، وذلك باستعادة المكان الواقعي عبر الوصف والتذكر أو بالتأمل والحلم وإنتاج أمكنة خفية وعوالم تكون في النهاية أمكنة للجوء والاحتفاء مما يتعرض له في الواقع من نفي وغربة لذلك " تُوصف هذه الأمكنة بالخفية أو العوالم الممكنة أو البديلة، وهنا تتضح العلاقة بين الحلم والملجأ كما يتضح تحول المكان في أعماقنا وفي المخيلة الأدبية إلى مجموعة قيم

ونماذج نفسية واجتماعية وجمالية<sup>1</sup> تستجيب لحاجات الإنسان للإحساس بالوجود والانتماء للمكان، لذلك سنلاحظ أن المجموعتان القصصيتان، تحتفي بالمكان بشكل يقترب من حد العشق ليس عبر وصف تفاصيله الصغيرة فقط، ولكن من خلال الاهتمام بشخصه، وبيوته، وحقوله، بمزروعاته المختلفة مجموعة هذه الأشياء والكائنات في النص الأدبي هي المكان هناك في الجغرافيا، وإن بُعد وتبدلت ملكية الجغرافيا، وهو معمار فني يرتكز على استعادة حضور المكان وبعثه رغم فقدته جغرافيا لكنه حاضر على الدوام ذهنياً ونفسياً، بشكل يبرز حياة بعض الشخص وتطلعهم للمستقبل والتحرر، ولأن الكاتبة تعرف جيداً إن استعادة، ذلك المكان أصبح من الأمور المستحيلة على الأقل في الآن أو في المستقبل القريب المنظور، حاولت أن تسكنه في قلب كل شخصياتها، وكأن الاستعادة الوجدانية للمكان هي الإمكانية الوحيدة المطروحة أو المتاحة، والأمر ينسحب حتى على الأطفال " كل ما تملك من وطنها هو هذه القلادة المعدنية على شكل خارطة فلسطين معلقة في رقبتها بخيط قنّب، تحرص على أن تخرج هذه القلادة من عنق سترتها كي لا تختفي في صدرها عن الأعين التي تتفاخر أمامها بفلسطينيتها"<sup>2</sup> لم تملك هذه الطفلة الصغيرة فلسطينية القلب والانتماء بعد تهجيرها عن وطنها سوى أن تحمل خارطة له متفاخرة بانتمائها، رافضة إهدائها بأي حال من الأحوال، والشيء نفسه عند الفتى الذي "خرج مُهَجَّراً قهراً من فلسطين، لا يملك شيئاً إلا قرشاً فلسطينياً منقوباً كان يدسه في جيبه مفتخراً به منذ أن أهداه له عمّه الشهيد في ثورة الفدائيين ضد الانتداب البريطاني في عام 1936، كل ما آل إليه من وطنه هو قرش منقوب منسي في جيب ثوبه الوحيد الذي خرج به بعد أن خسر أهله وبيته وأصدقائه... عقد القرش الفلسطيني بخيط أحمر اللون وعلقه في رقبته... وكلمة تصدق عليه أحدهم ببعض المال يقفل يده وقوة وإصرار ويرفض أن تستلقي فيها أي نقود غريبة ويقول "أريد قرشاً

<sup>1</sup> جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970م لعلوم في الادب العربي الحديث، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الادب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر/ باتنة، ص 471.

<sup>2</sup> سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 122.

فلسطينياً<sup>1</sup> فهذه الشخصية فلسطينية حتى النخاع فرغبتها في استعادة أرضها وتعلقها بها جعلتها تحتفظ بقرش مثقوب لا جدوى منه ولا ينفع في المعاملات المالية، لكنه يمثل لها الكثير بل كل شيء ولا تقبل أي عملة تتافسه أو تحل محله ببساطة لأنه يمثل عملة فلسطين.

قدمت المجموعتان القصصيتان المكان كقيمة مفقودة لدى الشعب الفلسطيني، كما نجحت في جعله تجربة جماعية حيث يعبر عن متطلبات الجماعة، لأن كل من يعرف تفاصيل المكان يشعر وكأنه هو الذي يروي ويصف ويسرد، ليبقى المكان شاهداً على بطولات وتضحيات أهل هذه الأرض والتي لا يبخلون عليها بأرواحهم أملين استعادتها وبعثها من جديد رغم البطش الصهيوني، "أما أشجار الزيتون والتين والبرتقال والرمان والعنب فقد نقشت على جذوعها أسماء الشهداء الأبرار كي لا ينسى التاريخ جريمة اسمها اغتيال فلسطين".<sup>2</sup> يُخذ المكان أسماء شهدائه الذين لم يتخلوا عنه، حتى يبقوا في ذاكرة الجماعة

لقد رسمت "سنا شعلان" خصوصية المكان ولقد تمكنت من ذلك من خلال:

\* إعادة إحياء مفردات الحياة الشعبية (المنجل، الأرجوحة، الخيمة، الفأس، غطاء الرأس)

\* مفردات حياة يومية شعبية (حبر حكايات الجدة، خرافة أبي عرب، حكاية المنجل)

\* أسماء الأشجار والنباتات (شجرة الزيتون، شجر البرتقال، أشجار التين)

\* تداخل الشخصيات وتنوعها، موافق لتداخل الأمكنة من قدر هذه كلها أن تعيش حلم العودة وأمل البقاء في المكان والمحافظة عليه لكن الانكسار نحس أنه هو المكتوب وهو المقدر

<sup>1</sup>سنا شعلان: تقاسيم الفلسطيني: ص 123.

<sup>2</sup>المصدر نفسه: ص 11.

وهو النتيجة"<sup>1</sup>، لكن الفلسطيني لم يستسلم لهذا القدر الذي لم يكن سوى نبتة خبيثة يحاول المحتل الغاشم زرعها وهيئات أن تنمو.

قد يلجأ الكاتب في بعث مكانه المقدس حيث يبدع أسطورة أو يعيد إنتاجها بإعادة تركيب بنيتها الحكائية عن طريق التركيز على الدلالة التي يسعى إلى إثارتها في النص، حيث أن الأخضر يتحول إلى معادل للخصب والتجدد بما يقترن به من إشارات، فالاقتران بين الأرض والأخضر تشير إلى عودة الحياة وتجدها بحكم رمزية الأخضر المفعمة بالعطاء والامتداد، ونظرة تفاؤلية تعج بالرغبة في الانعتاق" وحدها أشجار الزيتون والتين والبرتقال والرمان والعنب من تحفظ وجوه رجال العصابات الصّهاينة وهم يتسلّلون عبرها قادمين من بعيد حيث الرد والجلد والقسوة والرحيل، ووحدها من رأت الوجوه الآثمة الغربية تمتدّ أيادي تقتل وتتهب وتغتصب وتخنق أنفاس الفلسطينيين الذين لا يجدون إلا أن يفلقوا باطن أراضيهم بفؤوسهم ليخرجوا منها إلى الوجود سرّ خلودها شجراً وأثماراً وريحاً طيبة"<sup>2</sup>، فخدمة الأرض وزراعتها وسيلة الفلسطيني لرفض الدخلاء واستمرار لوجوده على أرضه فصورة الانبعاث وتجدد الحياة لا تأخذ من الأسطورة إلا فكرة عودة الحياة، "ويصير التراب امتداد للروح وتتداخل الذات مع الأرض"<sup>3</sup> ليصبح استمرار الموت استمراراً للحياة ففي قصة مقبرة أين يعود الأموات من المقابر في مشهد مؤثر أبدعت فيه الكاتبة سناء شعلان مبينة أغرب طريقة يستعملها المدافع عن الأرض المقدسة، "هي أكبر مقبرة تاريخية في فلسطين، عمرها أكثر من ألف عام... قرّر العدو الصهيوني أن يجرّف المقبرة بعد تمشيطها لأجل أن يبني فيها أكبر مستوطنة في فلسطين المحنتلة... لقد قلّعوا شواهد القبور وأشجار المقبرة بعد

<sup>1</sup> أحمد أبو مطر (وآخرون): أفق التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 2003م ط1، ص 27.

<sup>2</sup> سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 11.

<sup>3</sup> ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، ص 149.

تدمير سورها العتيق، ثم هتكوا حرمة القبور بتجريفها، لقد انتزعوا الهياكل من مرقدها، وكوّموها في خرق أكفانها.

في الليل ومع هدأة الرقاد استيقظت الهياكل المطرودة من قبورها، وهاجمت أعداءها.<sup>1</sup> ونجد أيضا في نفس الرؤية والتي تجعل من رمزية الموت بداية لطريق التغيير أو تجدد الحياة فالموت يفقد مفهوم الفناء ويكتسب دلالة جديدة توحى إلى البعث وعودة الحياة، وتأسيساً على هذه الفكرة تمتزج صورة القبر بصورة رحم الأم، لا تختلف قصة "الموتي لا يرحلون" كثيرا فهي تصب في نفس قالب والذي يرى أن الموت في أحضان الوطن قمة التحدي والمواجهة "قال الضابط الصهيوني لا أحد يبقى في هذا المكان الجميع عليه أن يرحل خلف هذا الجدار الجميع بلا استثناء... ضحك العجوز الفلسطيني من جهل الضابط، وتمدد على أرضه وقال إذن هنا أموت وأسبل عينيه وراح في سبات أبدي"<sup>2</sup>. وفي هذا تحدي الموت ومحاولة إثبات عدم قدرته على إيقاف الحياة لأنها سوف تستمر من خلال الفكرة أو الحلم إن الانفتاح على فضاء الموت هو انفتاح على فضاء يتميز بالامتداد واللانهائية، بل هو فضاء ضروري للحياة فالموت عودة الإنسان لذويه ورجوعه الحميم إلى المكان الذي أتى منه، وفي المقطع التالي تصور الكاتبة أشجار الزيتون والتي تسمو بها لدرجة التقديس باعتبارها هوية ضاربة في جذور الأرض يستمد منها الفدائي قوته الفولاذية، "قال لأخيه الصغير وهو يشرح له باهتمام مغزى أهمية الدفاع عن بستان الزيتون الذي يملكون في أعالي جبال "جرزيم" الفلسطينية: هذه الأشجار ليست أشجار كما تبدو، كل شجرة تنمو على قبر فدائي، فكل فدائي عندما يموت يصبح شجرة زيتون."<sup>3</sup>

وإذا عدنا إلى هذه الأمثلة نجد أن هذا المسار يتشكل عبر صور رمزية تجعل من فكرة البعث وتجدد الحياة قاعدة للمواجهة مع الآخر حيث ترتفع الكاتبة بمفهوم الخصب أو

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 16.

<sup>2</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 76.

<sup>3</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص 40.

الانبعاث إلى مستوى تجريدي تحقق به وجود عاماً وانبعاثاً جماعياً من خلال زمن الولادة، وهي تسمو بالمكان /الأرض بتشكيل رمزي يوحد الأسطورة بالمقدس والتاريخي والواقعي، فزمن البعث رؤياً تخترق الواقع وتخصب النص بالنبوة والأسطورة، وتعد "خرافية أبو عرب" خير مثال على ذلك وهو نموذج المناضل الذي لا يمكن أن يموت "لكن أبو عرب لم، بل وجدته في كل مكان ذهبت إليه وما أكثر الأماكن التي ذهبت إليها، وما أجمل أن أبا عرب كطائر الفينيق لا يموت ولا يفنى، بل يبعث حياً من رماده المرة تلو الأخرى... أبو عرب غدا جيشاً من الرجال والنساء والأطفال، تخفى في أرحام الفلسطينيين اللواتي يُرضعن أولادهن الإباء، فوجدته تخفى في حجارة الأرض التي تصرخ يا فلسطيني...وقفت للآلة الدمار الصهيونية أمام أنظار العالم وحيدة عجوز صامدة: " لا "فعرفت عندها أن روح أبي عرب قد تقمّصتها... ولكنه على الرغم من ذلك يُبعث حياً مرة تلو الأخرى".<sup>1</sup> يمكن أن نستنتج أن المكان / الأرض وما يرتبط به هو المساهم الأول للتجارب المختلفة إذ أن تجربة الانبعاث أو تجدد الحياة وعودة الخصب "تستدعي إشارات رمزية استبدالية تتجه إلى بعد كوني، يحول الحدث الفردي إلى واقعة إنسانية، ويستثمر الخيال الأسطوري ليصبح دالاً حراً يولد الكوني للذات"<sup>2</sup> التي تتحسس المكان في كل العناصر، فقد جاء سياق الأسطورة أوزوريس أنه " تتسب إليه كل التطورات التي تحدث على سطح الأرض طوال العام، فإذا أتى الفيضان ف"أوزوريس" هو الماء الجديد الذي يكسب الحقول خضرة، فإذا جف النبات فمعنى ذلك أنه مات ولكن موته ليس أبدياً لأن الحياة تعود إليه كل سنة، وبعودته تنبت المزروعات فهو رمز الخير والخصب".<sup>3</sup> لقد أسهبت "سناء شعلان" في توظيف الأسطورة أو البعد العجائبي في قصصها وذلك رغبة في بعث نفس جديد وأمل في قلب المتلقي الذي قد يمتلكه اليأس والقنوط جراء ما يقف عليه من ممارسات الاحتلال لكن هذه النظرة الجديدة

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 65-96-99.

<sup>2</sup>جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970م، ص 434.

<sup>3</sup>سعید جبر محمد أبو خضرة: تطو الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان ط 1، 2021، ص 50.

قد تفتح له باب الإيجابية إزاء مصير القضية الفلسطينية، فالنساء في فلسطين لا يتوقفون رغم كل الظروف عن إنجاب الأبطال الفدائيين، "...بطون النساء الفلسطينيات كلها أكن صبايا أم في منتصف الشباب أم في شرخه تعج بتوائم أربعة أو خمسة أو ستة حتى النساء اللواتي لم يتزوجن ولم يمسهن بشر أو العواقر تحركت أرحامهن بالأجنة معلنة وجودها بحركات عنيفة صارخة، الأحمال العجيبة تكبر بسرعة غير طبيعية وتكاد تغادر الأرحام... لتكمل مسيرة النضال، الذين يموتون من الفلسطينيين كثر، أما القادمون فهم أكثر<sup>1</sup> كان لابد من تعويض الضحايا الذين يسقطون بقذائف المحتل لذا عملت النساء في الأرض المحتل على تعميمها معلنة تجدد الكفاح والتصدي، فمفهوم الولادة أو التجدد ورغم تعمقه في الفضاءات العجائبية الغير مألوفة والخروج عن الواقع لا يبتعد عن الواقع الفلسطيني إذ أنه إعادة إنتاج هذا الواقع.

ومما سبق، نتفق مع ما ذهب إليه الباحث "عبّاس خالد" إلى أن المكان "يأخذ سياقاً سردياً مختلفاً بواسطة دلالاته الفكرية متجاوزاً الأبعاد الشكلية الفيزيائية خدمة لمقاصد مضمونية وفكرية من خلال الحدث والمصائر والانتقال بكل الأماكن لترسم يوميات الحياة الفلسطينية الواقعية"<sup>2</sup>، وكما رأينا يتحدي الفلسطيني الجدار ويقهره ويثبت وهمه أمام إرادته الفلاذية وإصراره على الصمود والبقاء رغم التهجير والقتل الوحشي، لذا بات الجدار وكل جدار يقف في وجهه ليس ذي معنى سوى رمز استلابي، قبيح ومشين ورمز لقهر الإنسان دون وجه حق، ومن هنا لم تترك للفلسطيني سوى خيار المقاومة مدركاً أنها إرادة مقدسة من أجل استرجاع المكان المقدس، نعم لم يبق لأصحاب الأرض إلاّ التشبث بشعاع الأمل، وبالعلم الذي سيتحقق.

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني: ص 19-20.

<sup>2</sup>عباس داخل: دلالات المكان في المجموعة القصصية " ذات جدار " لسناء شعلان، موقع اطلع عليه يوم 27-11-

2019م، الساعة، 11، 20

q = http://www.google.dz /serch

# خاتمة

لم يقف المكان الروائي عند دلالة معينة، تسندها الكاتبة له لأن دلالاته المتعددة أول ما تقوم عليه هو تعدّد القراءات ومن ثم تعدّد الدلالة ممّا يؤدي إلى انفتاح النص، فالقراءة المتفحصة تفرض نفسها على النص لتصبح دلالة النص أهمّ ما يمكن أن يُتناول للدراسة، ومن خلال ما سبق تناوله في التحليل نتوصل إلى النتائج التالية:

\_ تتبثق صورة المكان في المجموعتين القصصيتين من كونه أصبح مسرحاً لأحداثهما السياسية والاجتماعية، وأبرزت فيها الكاتبة معاناة الشعب الفلسطيني بأسلوب سهل بعيد عن التعقيد.

\_ تعددت دلالات المكان وأبعاده في النصين فجاء المكان العربي محملاً بدلالات سياسية، واجتماعية، تاريخية، كاشفاً عن الثغرات والسلبات التي يعجّ بها الدعم العربي للقضية.

\_ "تقاسيم الفلسطيني" و"حدث ذات جدار" إبداعين تجاوزا حدود المتعة الأدبية إلى كتابة حملت على عاتقها توثيق سيرة مكان باسترجاع صور من الماضي، وقراءة حاضره، وتأويل مستقبله، إنها إعادة بناء وتصحيح لمعطيات واقع تكبّل بالظلم وتعسف المحتل.

\_ بين ذاكرة الفجيعة وحلم العودة، يقيم النصان حوارية الأمكنة بحثاً عن فضاءات للذات، وسعياً وراء الرغبة في العودة بين الوجود واللاوجود هو مجال بحث الذات عن عوالمها وفضاءاتها.

\_ في المجموعتين القصصيتين استغرق كامل في داخل خاصية المكان ونفوس شخوصه، عبر نبش في مخزون الذاكرة لاستعادة ما ضاع جغرافياً، وبعثه من جديد في النفس على الورق بتقنية عالية ومتقدمة.

\_ أُصيغت الأمكنة في النصين بصبغة التقديس والتي اعتبرتها الكاتبة مصدر انتماءها وجذورها، وعنصر كيائها ووجودها ولذلك فهي فردوسها المفقود وجنتها الضائعة التي تحاول استعادتها.

يحتشد العمال الإبداعيان بكمّ وافر من المقاطع السرديّة التي تتعامل مع المكان في تفاعل فنيّ يمزج في طياته العميقة خصوبة الأرض بخصوبة المرأة عبر ترابط مشيمي بين ذات الفلسطيني وجذوره الضاربة في أعماق التاريخ والأرض.


كان لظاهرة استنطاق المكان في النصين المدروسين حظّ وافر والذي كان بارزاً أكثر في المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" أين جعلت الكاتبة من الجدار رمزاً للإنسانية التي فقدت من لدن المستدمر الصهيوني الذي وضعه.

ركزت القاصة "سنا شعلان" في المجموعتين على فكرة الانبعاث والتجدّد واستمرار الحياة بعد الموت ليفقد بهذا مفهوم الفناء ولتحمل فكرة الموت ذاتها دلالة جديدة وهي الأبدية.

كما ركزت على ضرورة المقاومة فهي وحدها القادرة على إنهاء حالة اللجوء والتشرد، عودة وطن، وأرض وإنسان ما قبل النكبة، فسيطرت هذه المقاومة وهذا الفدائي وذاك الشهيد وتلك البندقية على أغلب حركة النصين فهي الأمل للملايين اللاجئين.

إن ما يميّز المجموعة القصصية الجديدة "حدث ذات جدار" عن "تقاسيم الفلسطيني" هو المكان، فقصص التقاسيم تدور في مكان معادٍ، أي في مكان الشتات الفلسطيني بينما ارتبطت جلّ قصص "حدث ذات جدار" في المكان الأم فلسطين والجدار العازل الذي قسّم قلب الفلسطيني إلى نصفين.

المجموعتان القصصيتان جديرتان بالاهتمام كونهما تتقشان فلسطين في وجداننا بل تعدّيتا ذلك لتعكسا صورة فلسطين وواقعها لتصل قلب كل مواطن عربي، وحبذا لو يتم ترجمت هاتين المجموعتين القصصيتين لنقل هذه الصورة الأدبية الحية إلى العالم أجمع.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text. The border features stylized leaves, small flowers, and elegant curves.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

1. سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2015م
2. سناء شعلان: حدث ذات جدار، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2015م.

ب. المعاجم والقواميس:

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: قاموس لسان العرب، تح: عامر احمد حيدر، مر: عبد المنعم خليل إبراهيم، مجلد 13، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003.
2. الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1988م.
3. لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1986م
4. لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية والأدب والعلوم، بيروت، لبنان، ط8.
5. معجم اللغة العربية: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، دط، 1983م.

ج. المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية العربية، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، دط، 2002 م.
2. أحمد أبو مطر وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط 1، 2003 م.

3. أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية "دراسة نبوية لنفوس نائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009م.
4. إيمان جريدان: هوية المكان وتحولاته دراسة في رواية طوق الحمام، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة، ط 2، 2021 م.
5. باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1، 2008 م.
6. بذرة شريط: سيميائية الجسد (الجسد والهامش في الرواية الجزائرية المعاصرة) مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، منشورات، كيراس، وهران، الجزائر، 2016م.
7. ابن عربي: الطريق إلى الله، جمع وتأليف محمود محمد الغراب، مطبعة نصر، دمشق، سوريا، ط 2، 1986م.
8. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1.
9. حسن حنفي حسنين: الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.
10. حميد الحميداني: بنية النص السردي من المنظور النقدي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000 م.
11. خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، دط ، 2000م.
12. سعدية بن ستيتي: الإطار المفاهيمي للفضاء الروائي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2017 م.
13. سعيد جبر محمد أبو خضرة: تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2021م.

14. سلطان عبد الرحمان العميري: فضاءات الحرية، بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، مصر، ط2.
15. سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة العامة للكتاب، 2004م.
16. شاعر النابلسي: جمالية المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994 م.
17. شريف جميلة: بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010 م.
18. اعتدال عثمان: إضاءة النص، دار الحدائث، بيروت، لبنان، ط 1، 1988م.
19. عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط 1، 2003 م.
20. عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص القصصي الجزائري، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط، 2001 م.
21. عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2012م.
22. على شاكري: شعرنا الحديث إلى أين، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ط1، 1991م.
23. عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، (البنية الزمانية والمكانية في رواية موسم الهجرة إلى الشمال)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م.
24. صفوان خطيب: الأصول الروائية في رسالة الغفران، دار الهداية، القاهرة، مصر، ط 1، 1984م.
25. ضياء غني العبودي: الجسد والعنونة في عالم سناء شعلان القصصي، دار الحامد للنشر والتوزيع، دط، دب.

26. فرج طه، شاعر قنديل، حسين محمد، مصطفى عبد الفتاح: موسوعة علم والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م.
27. فضيلة فاطمة درويش: سيولوجيا الأدب والرواية، دار أسامة للنشر والتوزيع، دط، عمان، الأردن، 2012م.
28. محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010م.
29. مرشد أحمد: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمان منيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، دط، 2009 م.
30. ناصر علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
- د- المراجع المترجمة إلى العربية:
1. إيكس ميكشيللي: الهوية، تر: علي وطفة، دار وسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، ط1، 1993م.
2. جيرالد برنس: المصطلح السردي (معجم المصطلحات)تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2003م.
3. رونييه ويلك واستون ورين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والعلوم الاجتماعية، دمشق، سوريا، دط، 1972م.
4. غاستون باشلار: جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
5. ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، دط، 1990 م.

هـ. الرسائل والمذكرات:

1. تهاني سالم محمد أبو صالح: الشعر الفلسطيني المقاوم في القرن الواحد والعشرين، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير لغة عربية، كلية الأدب الجامعة الإسلامية غزة، (2000-2015).
2. جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني بعد 1970م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر/باتنة، الموسم الجامعي 2007/2008م.
3. رحيم على جمعة: المكان ودلالاته في الرواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الادب جامعة بغداد، دط.
4. عبد الله شطاح: شعرية المكان في الرواية الجزائرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الادبي الحديث والمعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.
5. محمد عبد المقصود: فاعلية كل من الإرشاد النفسي الفردي والجماعي في تعديل مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين المصابين بشلل الأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية، جامعة طنطا، مصر.
6. نيرة عز الدين: مفهوم الذات لدى المرضى بالقلب الناتج عن الروماتيزمية في المرحلة العمرية من 11 إلى 15 عام من الجنسين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا، جامعة عين شمس، مصر.
7. هدى جباس: هوية وتراث مقارنة أنثروبولوجيا لدلالة الأسماء في قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، 2003-2004م.

و. الدوريات والمجلات:

1. الحاج القديري: مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، 2 كانون الثاني 2021م جامعة ابن طفيل، الاختلاف في العلوم الشرعية.
2. حسن محمود حسنين: الشعر واليقظة العربية قبل الانتداب البريطاني، مدخل لدراسة شعر المقاومة الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 104، 1980م.
3. مروان الخطيب: الشعر المقاوم شرفه أن يقض مضاجع الخصم، مجلة " بلسم " لبنان 2004م، عدد 351.
4. ياسين حاج صالح: الحرية (البيت، السجن، المنفى.... العالم) مقال في مجلة الجمهورية، دع، يوم 25، 03، 2016م.

ز. المواقع الالكترونية:

1. محمد مصطفى على حسنين: استعادة المكان، دراسة في آليات السرد والتأويل، رواية (السفينة) لجبرا إبراهيم جبرا أنموذجاً، [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com).
2. عباس داخل: دلالات المكان في المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" لسناء شعلان، ؟، q= [http :www.google.dz/se](http://www.google.dz/se)،

[https:// www.marefa.org](https://www.marefa.org).

[ar.wikipedia.org/](http://ar.wikipedia.org/)

[wiki. palinfo.com /news/](http://wiki.palinfo.com/news/)

# الملاحق

## سناء شعلان في سطور:

الدكتورة "سناء كامل أحمد شعلان" والملقبة "بشمس الادب العربي" أديبة وناقدة أردنية من أصول فلسطينية (فلسطينية الهوية والهوى) ومن مواليد / 20 / مايو / 1977م في صويلح الواقعة بعمان في الأردن، حاصلة على درجة البكالوريوس من جامعة اليرموك سنة 1998م. وعلى درجة الماجستير من الجامعة الأردنية عام 2002م.

كما حصلت على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ونقده بدرجة امتياز، وحاصلة على شهادة الدكتوراه الفخرية من الصحافة والإعلام من "كامبردج" عام 2014م. والأديبة عضو في كثير من المحافل الأدبية مثل: رابطة الكتاب الأردنيين، اتحاد الكتاب العرب، النادي الثقافي في الجامعة الأردنية، رابطة الأدباء العرب، جمعية الأخوة الأردنية الفلسطينية وغير ذلك كثير.

تولت الأديبة "سناء شعلان" عدة وظائف أكاديمية منها:

دكتورة في الجامعة الأردنية، أستاذة زائرة لمرحلة الماجستير/المناهج النقدية المعاصرة وتعليمية اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لمرتين في العامين 2014 و 2015م<sup>1</sup>، أيضا محاضر غير متفرغ لتدريس العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الأردنية /مركز اللغات، كما اشتغلت مراسلة لمجلة الجسرة الثقافية في قطر، وأمين عام لجائزة مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع للعام 2009م.

كما لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلية وعربية وعالمية في قضايا الأدب والنقد والتراث وحقوق الإنسان والبيئة والأدبية حاصلة على نحو 63 جائزة دولية وعربية ولكثرتها نقتصر على ذكر بعضها:

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسين الفلسطيني، ص 160.

\* جائزة مهرجان القلم للإبداع العربي في الدورة الخامسة في حقل القصة القصيرة عن قصة الاستغوار في جهنم، (الجائزة الأولى) في مصر.

\* جائزة القصة الومضة العالمية في حقل القصة الومضة "حدث في مكان ما" الاتحاد العالمي للشعراء والمبدعين العرب عام 2014م (مصر).

\* جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي / جائزة الأديب المرحوم "محمد طمليّة" في القصة القصيرة عام 2014م عن مجموعة "ناسك الصومعة" (الجائزة الأولى) الأردن.

\* الجائزة التقديرية لأجمل كتاب للعام 2013م عن رواية "أعشقني" مؤسسة العنقاء الدولية لاهاي (العراق).

\* جائزة أكثر خمسين شخصية مؤثرة في الأردن بحصولها على المرتبة التاسعة عشر للعام 2013م.

\* جائزة العنقاء الذهبية الدولية للمرأة المتميزة للعام 2013م مهرجان العنقاء الذهبي لاهاي.

\* جائزة مؤتمر المرأة العربية 2012م جائزة التميز الإبداعي والأكاديمي والتأثير عن مجمل إنتاجها الإبداعي والنقدي، مؤتمر المرأة العربية مركز التفكير الإبداعي، عمان الأردن.

للمؤلفة 65 مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقدي متخصص ورواية ومجموعة قصصية وقصة أطفال ونص مسرحي مع رصيد كبير من الأعمال المخطوطة التي لم تنشر بعد والعديد من الدراسات والمقالات والأبحاث المنشورة فضلاً عن كثير من الأعمال الثابتة في كثير من الصحف والدوريات.

لها كتاب نقدي بعنوان "السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن 2004م وكتاب نقدي آخر بعنوان "الأسطورة في روايات نجيب محفوظ" عام 2006م.

مجموعة قصصية بعنوان "أرض الحكاية" عام 2006م و"تراتيل الماء" 2010م و"مقامات الاحترق" و"ناسك الصومعة" في نفس العام وأيضاً "الهروب الى اخر الدنيا" و"عام النمل"

في 2014م ومجموعة قصصية بعنوان قافلة العطش، وأخرى بعنوان "الضياع في عيني رجل الجبل" 2012م، ولها أيضاً رواية بعنوان "اعشقتني" 2012م، ومسرحية "يحكى أن" 2009م، و"6 في سرداب" 2006م، مسرحية "عيسى ابن هشام" 2006م... الخ.

قلم الدكتورة متميز نابع من قضايا عصره حاملاً مشعل تنوير الرأي العام مرتبط بقضايا التحرر وعلى رأسها القضية المحورية (قضية فلسطين المحتلة)، بأسلوب شيق مبين قريب من المتلقي وفي ذات الوقت ذو لمسة إبداعية خاصة مؤثراً في المتلقي أيما تأثير مشعلاً فكره وذهنه بلغة جذابة عذبة.

تقول الكاتبة في إحدى حواراتها عن الكتابة " تريد مني الحقيقة وقبس النور في درب الحياة نضيء بها الدرب للبشر نحو إنسانيتهم، أما أنا فأريد منها سبباً للحياة وطريقة للتنفس"<sup>1</sup>.

#### ملخص المجموعة القصصية: تقاسيم الفلسطيني

هي مجموعة قصص قصيرة جداً للدكتورة "سناء شعلان" تقع في 182 صفحة تتكون من 174 قصة موزعة على عناوين كبرى: تقاسيم الوطن، تقاسيم المعتقل، تقاسيم المخيم، تقاسيم الشتات، تقاسيم العرب، تقاسيم العدو، تقاسيم البعث، تتجول بك الكاتبة بين التقاسيم لتضعك داخل معاناة الفلسطيني بأسلوب مباشر، متجنباً بهذه المباشرة أي تأويل أو التباس في تقدير الأحداث ونقلها، واللغة هذه تحديداً تحيلك على تجربة منقطعة في ربط الأحداث بتسلسل حكيم، على الرغم مما يبدو من أن هذه المجموعة لا تتصل ببعضها.

لقد استخدمت القاصة القصة القصيرة والتي لا تتجاوز صفحة أو نصف صفحة من الحجم المتوسط وكأنها بهذا الشكل أرادت تجاوز مأساة الفلسطيني من خلال عدم إطالة القصة، مكثفية بخلق حالة من الهزة للمتلقي وجعله في مواجهة مع ضميره إزاء تلك المشاهد التي توقظ فيه إنسانيته النائمة.

<sup>1</sup> حوارات مع شمس الادب العربي: جمع وتحقيق عباس داخل حسن، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2020م، ج2، ط1، ص25.

كما نجد في هذه المجموعة لغة سلسلة تنساب بسهولة وقريبة لدى المتلقي حيث تصل إليه دون معاناة، إن القارئ لهذا النص الأدبي المميز يلحظ لجوء الكاتبة في بعض المواقف إلى الفانتازيا والتي يمكن اعتبارها السمة الأبرز في المجموعة ولم يكن ذلك اعتباطيا، ربما أرادت أن تعطي رغم معاناة الفلسطيني واضطهاده وتهجير من بلده، لمسة تفائلية بتجاوزها في كثير من الأمور المألوف، في نضرة استشرافية بالنصر الموعود فأن تغادر روح المؤذن جسده وترفع الأذان في وقته في سماء الخليل نوع من التحدي للعدو، وفكرة إن " بطون النساء الفلسطينيات تعج بتوائم أربعة أو خمسة أو ستة...حتى العواقر منهن"<sup>1</sup> لا تختلف في مدلولها وفي رؤية الكاتبة بأن الفلسطيني يكافح بكل ما أوتي من قوة ولا يستسلم ولا يسلم أرضه.

لقد جاءت عناوين القصص غالباً بكلمة واحدة فقط: الأم، الأرجوحة، المؤذن، المحرقة، تيه، تاريخ، رسام، وأحياناً بكلمتين: التوائم الأربعة، ثوب زفاف...الخ ونلمح اهتمام القاصة بشجرة الزيتون بصورة خاصة أكثر من مرة فكلنا يعلم أن هناك رمزية لشجرة الزيتون عند الفلسطيني خاصة بعد أن قل وضعف استخدام البرتقال كرمز، وهذا التغيير في استخدام الرمز يعود إلى الواقع الفلسطيني والعربي فبعد أن ابتعدت عنا بيارات "البرتقال الحزين" أخذنا الواقع لنهتم أكثر بما يسمى "أراضي السلطة الفلسطينية".

شملت المجموعة قصص تمتاز بالقصر وعدم الإطالة، فمثلاً قصة "شارون" وأيضاً "القيامة" حوت اختزالاً وتكثيف لغوي بارزاً، فالمبدعة "سناء شعلان" لم تكن في حاجة لتطيل حتى توصل فكرتها وكي تدين شخصية مغتصبة مثل "شارون" ذلك القائل السفاح.

يقول الناقد "عباس داخل حسن" عن المجموعة أنها صورة لمأساة قضية بدأت منذ عقود ولم تنتهي فصولها بعد، على الرغم من كل تأمر الكون عليها إلا أنها بقيت متقدمة مثل تقاسيم الفلسطيني صاحب الأرض وحامي المقدسات بشرف وأمانة مهما هبت رياح التهجير

<sup>1</sup>سناء شعلان: تقاسيم الفلسطيني، ص19.

والاعتقال والقتل، يبحث الفلسطيني مثل العنقاء من رماد الفجائع والانكسارات والخسارات الكثيرة.

لقد استطاعت هذه النصوص أن تُصور التقاسيم الخاصة بالفلسطيني فمن تصوير أنواع النضال إلى أشكال الاستشهاد وأشكال التهجير والإبعاد والاعتراب مع حب الفلسطيني لأرضه ووطنه وإيمانه بنصره ولو بعد حين في ضل الدعم العقيم للقضية الفلسطينية ذلك الدعم الذي يتشدد به مسؤولون كبار وينفقون الأموال الطائلة من أجل ذلك الدعم المزعوم وهو واقع كل الوطن العربي تجاه القضية، في الوقت الذي تصور فيه الصهيوني وهو مهزوز الثقة في نفسه ومجرد من الأخلاق والقيم الإنسانية يفيض بالكره لنفسه قبل غيره، لقد نجحت الكاتبة المبدعة بعلوكعبها وبسلاسة أسلوبها أن تجعل من القارئ شريك لها في الإحساس بالنص والتماهي فيه حيث جعلته يتخلى عن حياديته والتي لا مجال لها في مثل هذه القضايا، بتفاعله وتعاطفه مع رؤيتها التي لا تعدو أن تعبر قضية عادلة، تعاني التهميش والتعتيم، أملهً أيقاظ الرأي العام ليقف وقفة حق مع شعب مهضوم الحقوق، وهو الشعب الفلسطيني.

### ملخص المجموعة القصصية " حدث ذات جدار "

تطلع علينا من العاصمة الأردنية عمان الطبعة الأولى من المجموعة القصصية "حدث ذات جدار " للأديبة الأردنية ذات الأصول الفلسطينية د. سناء شعلان والصادرة عن دار أمواج الأردنية للنشر والتوزيع وهي المجموعة الخامسة عشرة في سلسلة إصدارات "شعلان" في مجال القصة القصيرة على مدار 128 صفحة من الحجم الصغير وتتكون من 13 قصة قصيرة تحمل العناوين التالية على الترتيب: وبكى الجدار، المقبرة، حالة أمومة، الصديق السري، شمس ومطر على جدار واحد، من أطفال الشمعة الأخيرة، عندما لا يأتي العيد، وادي الصراخ، الغروب لا يأتي سراً، سلالة النور، ما قاله الجدار، البوصلة والظافر وأقول المطر، واخيراً خرافية أبو عرب.

والمجموعة تعتبر الثانية بعد "تقاسيم الفلسطيني" والتي أفردتها أدبيتنا بالكامل للقضية الفلسطينية تعبيراً ووفاءً لجذورها الفلسطينية التي لا تفارقها في جميع نشاطاتها الأخرى، مسلطة الضوء على أبشع استعمار استيطاني كولونيالي عرفه التاريخ البشري وانطلاقاً من تصفحنا للمجموعة وتوغلنا وإبحارنا بين سطور كل قصة من قصصها يتضح لنا أن كل هذه القصص المدونة بقلم الكاتبة "سناء شعلان" ارتبطت بشكل أساسي ومباشر بالجدار العازل، وإن تنوعت الأحداث فهي متعلقة به فهو العنصر الرئيس في كل قصة ولا تخلو أي منها من سطوته إذ يلعب الدور الرئيسي في المجموعة بكاملها والأمر ينسحب حتى على العنوان، فالعبارات النصية تمارس دورها "الميتاسردي" فهي تحيل بصراحة إلى موضوع القصص وغايتها وتكشف عن الاهتمام بالجدار البغيض وتلمح إلى تدوين يوميات الشعب الفلسطيني، ففعل حدث يبين نزعة الكاتبة إلى تصديق حكيها وإبراز وقوع الأحداث فعلاً، حيث نلمح تكرر كلمة الجدار في كثير من قصص هذه المجموعة (قريباً من الجدار / وبكى الجدار / بعيداً عن الجدار).

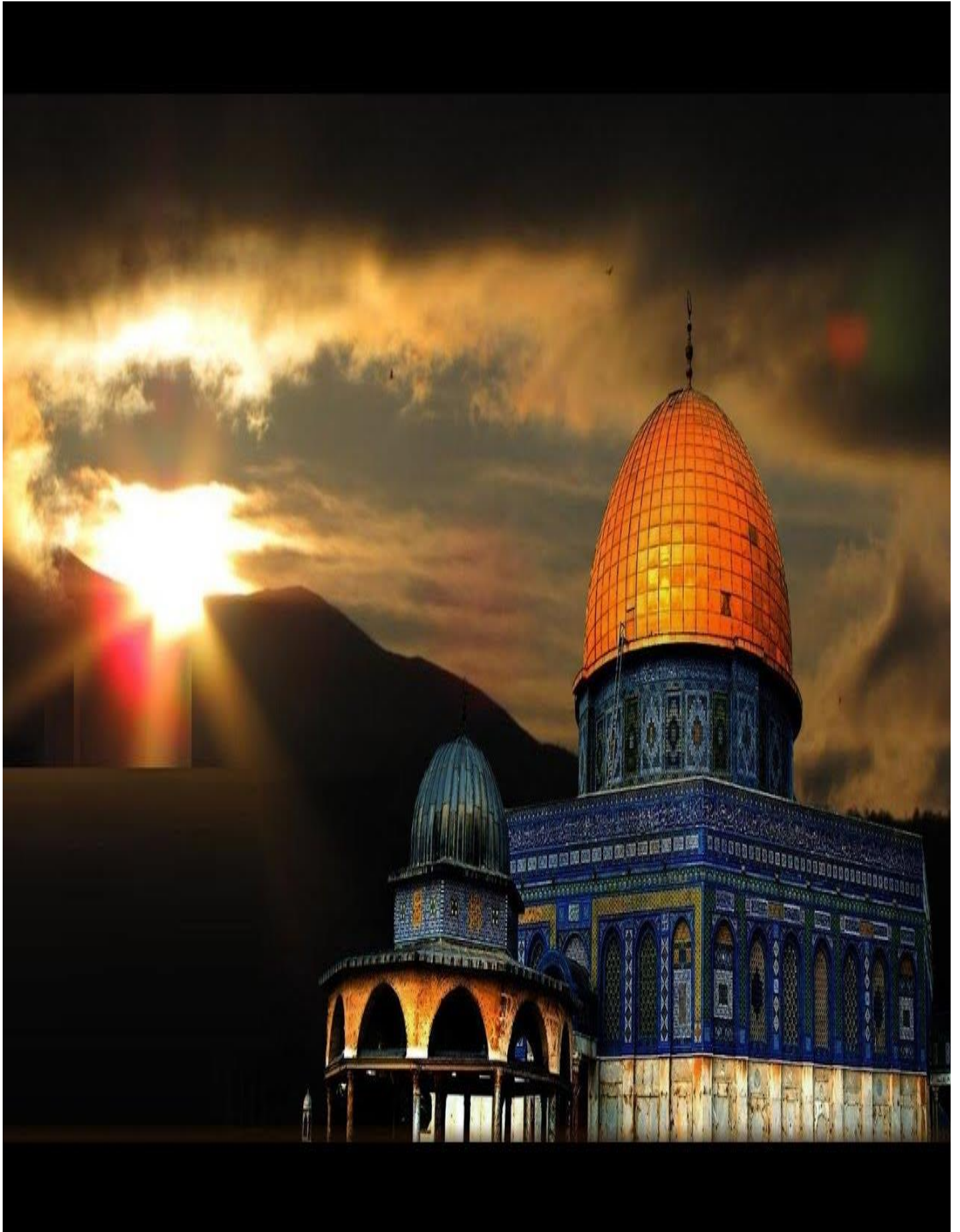
تسلط المجموعة الضوء وتكشف عن ثنائية تتصل بالشخصيات، فالقصص تركز على شخصيات عالقة، عزلها الجدار وتركها تعيش معزولة ومفصولة عن أهلها في المناطق المحنلة حيث المستوطنات وأخرى في الضفة الغربية والمناطق الفلسطينية الخاضعة للحكم الذاتي كما في قصة "بكى الجدار" "لم يفترقا أبداً منذ ولدا لا في النهار ولا في ليل يأكلان ويشربان ويستيقظان وبنامان في لحظة واحدة كتوأمين متحابين"<sup>1</sup>.

تعدّ المجموعة القصصية "حدث ذات جدار" تجربة متقدمة في مجال الأدب الذي يؤرّخ ويميط اللثام عن القضية الفلسطينية بكلّ تفاصيلها وانكساراتها وتوريتها بصورة أدبية شاعرية، وتؤكد الكاتبة "سناء شعلان" على اعتزازها بهذه المجموعة القصصية التي تعدّها طريقته الخاصة في النضال لصالح قضيتها الفلسطينية في ظلّ هجمات إعلامية صهيونية شرسة

<sup>1</sup>سناء شعلان: حدث ذات جدار، ص 15.

لطمس ملامح هذه القضية وتشويه عدالتها، فهي ترى أن هذه المجموعة تجسّد في قصصها جميعاً حتمية انتصار النضال الفلسطيني على الأسوار والمؤامرات والقهر حيث لم ترضى سوي يتهاوي هذا الجدار اللعين الذي قسم قلوب الشعب الفلسطيني وسحق أحلامه، فقد استيقظ السكان يوماً فلم يجدوا الجدار إذ لم يكن بوسعه الصمود أمام إرادة حب الوطن والانتماء التي تغمر أصحاب الأرض والذين سيبقون أصحابها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إنّ ما يميّز المجموعة الجديدة "حدث ذات جدار" عن تقاسيم الفلسطيني" هو المكان، فقصص التقاسيم تدور في مكان معادٍ أي في مكان الشتات الفلسطيني في المنافي والغربة والحنين ومخيمات الضياع واللجوء القصري، يمثل الخوف والانطواء بل هو مكان الكراهية والصراع، والشعور بالغربة والبعد عن الوطن فهو نقيض للمكان الأليف للفلسطيني الذي يدافع عنه إلى آخر لحظة ضدّ كلّ القوى المعادية، لأنّه يمثل قيمة إنسانية وجودية في "حدث ذات جدار" حيث ارتبطت جلّ القصص بشكل مباشر بالجدار العازل حيث مثّل هذا العنصر الجزء الرئيسي في كلّ قصّة، فلا تخلو قصّة في هذه المجموعة إلّا وكان الجدار يلعب الدور الرئيسي فيها.





A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text. The border consists of four corners with elaborate designs of leaves, flowers, and scrolls, connected by straight lines.

# فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعران

مقدمة..... أ - ج

مدخل: مفاهيم نقدية

1) مفهوم الذات..... 05

2) مفهوم الهوية..... 07

3) مفهوم التحرر..... 09

4) مفهوم المكان..... 11

الفصل الأول: تحرير المكان وتشخيصه

أولاً: استتطاق المكان..... 17

ثانياً: سطوة المكان وقدسيته..... 22

ثالثاً: المكان بين الانفتاح والانغلاق..... 30

الفصل الثاني: الذات وبعث المكان المقدس

أولاً: تحرير الذات..... 39

ثانياً: أمومة المكان..... 47

ثالثاً: بعث المكان..... 54

خاتمة..... 62

قائمة المصادر والمراجع..... 65

الملاحق..... 72

فهرس الموضوعات..... 82

## ملخص:

تناولنا في هذه الدراسة موضوع البعد التحرري وقداسة المكان في مجموعتين قصصيتين لصاحبتهم "سنا شعلان" والمجموعتان تتدرجان ضمن أدب المقاومة، وذلك بغية تسليط الضوء على رغبة التحرر والانعتاق من لدن الشعب الفلسطيني، والذي صورته الكاتبة انطلاقاً من استنطاقها للمكان الراض للعدوان والعبودية، وهدفنا من هذه الدراسة تبيان انعكاسات البعد التحرري على الفرد الفلسطيني المحتل في ظلّ تعميم وتقزيم للقضية، كما بينا علاقته بالمكان والتي ارتقت إلى درجة الأمومة والقداسة، فالمكان في فلسطين هو وطن، هوية وانتماء باعتبار فلسطين أرض الديانات السماوية ومهبط الوحي، ولا يرضى أصحابها إلا بإعادة بعثه وتحريره وتحقيق وعد الله فيه.

## الكلمات المفتاحية:

فلسطين، التحرر، المقاومة، الصمود، الكيان الصهيوني، المكان.

## ABSTRACT:

In this study, we dealt with the topic of the liberation dimension and the sanctity of the place in two collections of stories of their author, **Sanaa Shaalan**, which are part of the literature of resistance, in order to shed light on the desire for liberation and emancipation of the Palestinian people, which the author portrayed based on her interrogation of the place rejecting aggression and slavery. This study shows the implications of the liberation dimension on the occupied Palestinian individual in light of the darkening and diminishing of the issue, as we showed its relationship to the place, which has risen to the degree of motherhood and holiness, because the place in Palestine is a homeland, identity and belonging as Palestine is the land of the divine religions and the land of revelation, and its owners are only satisfied with its resurrection. And liberating it and fulfilling God's promise in it.

## key words:

Palestine, liberation, resistance, steadfastness, the Zionist entity, the place.